الثقافة القيادية والإدارية

في القرآن والسنة

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: الثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة
تأليف: آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
إعداد وتحقيق وتصحيح: الدكتور الشيخ حسين اليوسف
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٣م
نشر: مؤسسة حفظ ونشر تراث العلامة الآصفي
البريد الإلكتروني: m.m.alasefi@ gmail.com

الفهرس

تقديم ١١
المقدمة ١٣
أ- هل للإسلام ثقافة إدارية؟ ١٣
١- أهمية البحث عن الثقافة الإدارية ١٣
٢- العلاقة بين منهج السيادة وثقافة الإدارة ١٤
٣- بين الثقافة الإدارية وعلم الإدارة ١٦
ب- الأسس العقائدية للثقافة القيادية والإدارية في الإسلام ١٨
١- حاكمية الله ١٨
٢- خلافة الإنسان ١٩
٣- الإمامة ٢٠

الفصل الأول: التراث الإداري في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله

١- سياسة اللاعنف في مكة ٢٥
٢- الهجرة بحثاً عن منطقة آمنة لانطلاقة الدعوة ٢٦
٣- تحصين دار الهجرة ٢٧
٤- المؤاخاة ٢٧
٥- تهديد القاعدة الاقتصادية لمكّة ٢٩
٦- عنصر المباغتة في الغزوات ٣١
٧- بناء المسجد النبوي ٣٢

الفصل الثاني: التراث الإداري في حكومة الإمام علي عليه السلام

أولاً: السياسة الإدارية ٣٤
١- عزل عمال عثمان ٣٤
٢- استرداد أموال بيت المال ٣٥

٣- الالتزام بالقانون ٣٥
٤- عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبتهم ٣٧
٥- نهي العمال عن أخذ الهديّة ٣٨
٦- اختيار العيون لمراقبة العمال ٣٩
ثانياً: السياسة الاقتصادية ٤٠
١- مراقبة السوق ٤٠
٢- التسامح في جباية الخراج ٤٢
٣- عدم التأخير في توزيع أموال العامة ٤٣
٤- التوزيع بالسويّة ٤٣
ثالثا: السياسة الأمنية ٤٤
١- الاستخبارات الأمنية ٤٤
٢- إجلاء المتآمرين أو حبسهم ٤٥
رابعاً: السياسة العسكرية ٤٥
١- تنظيم الجيش ٤٦
٢- تأسيس القوات الخاصة ٤٧
٣- الحرب خدعة ٤٨
٤- المسالمة من دون وهن ٤٩

الفصل الثالث: الثقافة القيادية والإدارية في القرآن

١- آية الشورى ٥٢
العفو، والاستغفار، والاستشارة ٥٣
القرار والتوكل على الله في تنفيذ القرار ٥٦
الشورى غير مُلزِمة ٥٦
٢- آية المصابرة والمرابطة ٥٧
وتواصَوا بالحق وتواصَوا بالصبر ٥٩
٣- الآيات التي نزلت في انتكاسة المسلمين في معركة أُحُد ٦٠
قصة المعركة ٦٠
واقعة حمراء الأسد ٦٤
تحليل عناصر النكسة ٦٤

أ- آية سورة النساء: ٦٥
ب - آيات آل عمران: ٦٧
ثمانية دروس في آية آل عمران ٦٧
دروس أخرى من معركة أحد ٧٢

الفصل الرابع: الثقافة الإدارية والقيادية في حديث أهل البيت عليهم السلام

أولاً: كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر عندما ولاّه مصر ٧٨
ثانياً: كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر عندما ولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله ٨١
نظام العلاقات الثلاث في ولاية الحاكم ٨٢
١- في العلاقة بالله ٨٢
٢- في العلاقة بنفسه ٨٣
٣- العلاقة بالناس ٨٤
التعريف بالناس ٨٥
طبائع الناس ٨٥
التعامل من موقع الرحمة ٨٦
التعامل من موقع العفو والصفح ٨٧
ظلم العباد من محاربة الله تعالى ٨٨
الله تعالى يخاصم من يظلم عباده ٨٨
النهي عن الاستعلاء على الناس ٨٩
عندما تتعارض العلاقات الثلاث ٩١
العامة والخاصة ٩٢
خصائص الخاصة ٩٥
خصائص العامة ٩٦
إيثار العامة على الخاصة ٩٧
ثالثاً: كتاب الإمام الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي ٩٧
قصة الكتاب ٩٧

الفصل الخامس: دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام

١- ٢ القرار بين (التوكل والتفويض) و(الاستشارة) ١٠٩
٣- ٤ الذكر والتقوى ١١٢
٥- القرار ١١٦
٦- الحسم والقطع بعد الحزم ١١٩
٧- المؤمن بين الفطنة والتغافل ١٢١
٨- الرأي والموقف ١٢٥
٩- القرار والموقف بين المرونة والجِدّية ١٢٦
١٠- الانضباط الأمني والسياسي ١٢٨
١١- الاتّزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات ١٣٣
١٢- ترك الإنسان ما لا يعنيه ١٣٤
١٣- التنظيم والتخطيط ١٣٦
١٤- سعة الصدر ١٣٩
١٥- إضاعة المسؤولية ١٤٢
١٦- إضاعة الفرصة ١٤٢
١٧- الأناة ١٤٤
١٨- المؤمن لا تقهره المصائب ١٤٦
١٩- البشاشة والبشر ١٤٧
٢٠- الرأي بين التسرع والعُجْب ١٤٩
٢١- دور الزمان في الإدارة الصالحة ١٥٠
٢٢- مبدأ توزيع المسؤوليات ١٥٨
٢٣- معايير الاختيار الصحيح ١٥٩
٢٤- الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية ١٦٣
٢٥- بين المسؤولية والرعاية ١٦٣

فهرس المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه﴾.

آل عمران: ١٥٩

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا الكتـاب مجموعـة مـن الأفـكار والمذكّـرات والمحاضـرات فـي الثقافة القياديـة والإداريـة فـي الإسـلام، مـن خـلال الكتـاب والسـنة.. وكنـت قـد ألقيتهـا فـي وقـت سـابق فـي بعـض الحلقـات الثقافيـة فـي الحـوزة العلميـة بقـم. فاسـتلمها منـي فضيلـة الشـيخ عبـد العظيـم الخزاعـي حفظـه الله فـي النجـف الأشـرف، وقام بتجميعهـا وتدوينهـا.

ثـم ألقيـت عليهـا نظـرة تفصيليـة، أضفـت إليهـا بعـض النقـاط والعناويـن والمسـائل، وفصّلـت بعـض النقـاط المجملـة منهـا، وأضفـت إليهـا الفصـل الخامـس كامـلاً وأعـدت كتابـة الكثيـر مـن أبحاثـه، فكانـت بهـذه الصـورة التـي يجدهـا القـارئ الكريـم بيـن يديـه.

أسـأل الله تعالـى أن ينتفـع بهـا المؤمنـون، وينفعنـي بهـا يـوم لا ينفـع مال ولا بنـون، إلا مـن أتـى الله بقلـب سـليم.

محمد مهدي الآصفي
النجف الأشرف
٧ رجب ١٤٢٨

المقدمة

أ- هل للإسلام ثقافة إدارية؟

١- أهمية البحث عن الثقافة الإدارية

أصبح البحث عن مفردات الإدارة والقيادة، وأخلاقية الإدارة وثقافتها في التصور الإسلامي ضرورة لابدّ منها في عصرنا الحاضر، وخاصة بعد دخول الإسلام معترك الحياة، فكانت له دولة، وكيانات سياسية، وحركات، وأحزاب، ومقاومات، ومؤسسات إنسانية عامة وثقافية، وانتفاضات، وثورات، ودخل كقوة محركة كبيرة لتحريك وتثقيف الشعوب المضطهدة في العالم.

لقد دخل الإسلام المعركة الحضارية ككيان متحدٍ يرفض مطاوعة المؤسسات والأنظمة الاستكبارية في العالم، ويمتلك قدرة عالية على قيادة الشعوب وتحفيزها.

ولذلك فمن المفيد أن نبحث عن هذه القيادة الإلهية التي تستمد مفرداتها من التصور الإسلامي للإنسان، والأصول الثقافية التي تعتمدها

هـذه القيـادة والإدارة.

نتحـدث هنـا باختصـار عـن المبـادئ العامـة للثقافـة الإداريـة فـي التصـور الإسـلامي. ونطـرح التسـاؤلات التاليـة:

ما هـي الآليـة الصحيحـة للقيـادة والإدارة فـي التصـور الإسـلامي؟ وما هـي صفـات القائـد؟ متـى يليـن للنـاس؟ ومتـى يكـون شـديداً حـازماً؟ كيـف يشـرك النـاس فـي القـرار، وما هـي حـدود الشـورى؟ كيـف يتعامـل القائـد مـع طبقـات المجتمـع؟ ما هـي المصـادر التـي يمكـن أن يعتمدهـا الباحثـون لدراسـة ثقافـة القيـادة والإدارة فـي الإسـلام؟

سـوف نحـاول إن شـاء الله أن نلقـي بعـض الضـوء علـى هـذه النقـاط وغيرهـا مـن النقـاط التـي تهمنـا فـي هـذه الدراسـة.

فـي الثقافـة الإسـلامية كل إنسـان يحمـل بدرجـة مـن الدرجـات مسـؤولية القيـادة والقـرار انطـلاقاً مـن قولـه ﷺ: ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾[1].

ولذلـك فـإن أمثـال هـذه الدراسـات لا تقتصـر فائدتهـا علـى طبقـة معينـة فـي المجتمـع، وإنـما تفيـد كل إنسـان يعيـش فـي هـذا المجتمـع بدرجـة مـن الدرجـات.

٢- العلاقة بين منهج السيادة وثقافة الإدارة

لأنّ الإسـلام ديـن قيـادة وحكـم وسـيادة، فـلا يمكـن أن تتـم هـذه العناصـر علـى الأرض ما لـم يعـط اهتـماماً بمقـومات ومفـردات الإدارة والقيادة.

ومـما لا شـك فيـه أنّ القيـادة وحدهـا بـدون عناصـر الإدارة والتنظيـم تـؤدي

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٨.

إلى سقوط القيادة، وتشتت الجماعة.

وإننا إذا قلنا إنّ الحاكمية على الأرض ملازمة للإسلام، وإنّ التنازل عن عنصر الحاكمية والقيادية يعني التنازل عن الرسالة نفسها، فإنّ هذا يقودنا إلى ضرورة وجود الثقافة الإدارية والتنظيمية التي في هذا الدين.

وفي القرآن الكريم اهتمام واسع بتأكيد وتعميق القيادة، والسيادة، والحاكمية في هذا الدين، وثقافة القيادة والسيادة.

يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

ومن المؤكد أن المستضعفين إذا أصبحوا قادة للعالم، أو حسب التعبير القرآني (أئمة)، فلا بد أن يكون لديهم منهج واضح لإدارة الأمم التي ستصبح تحت مسؤوليتهم وسلطانهم.

والمستضعفون الذين سيصبحون حكاماً وأئمة على الناس لابد أن يكونوا مؤهلين للقيادة والإدارة على وجه الأرض تأهيلاً كاملاً.

ويقول تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

وهذا دعاء من أدعية القرآن، ولكنه يتضمن الطبيعة القيادية في هذا الدين، فإنّ الداعي هنا يسأل الله تعالى أن يكون قائداً للمتقين.

فقد تشبعت روحه وعقله بحاكمية الإسلام، وأن الإنسان المسلم هو المؤهّل لاحتلال مركز القيادة في المجتمع والعالم.

---

١. القصص: ٥.

٢. الفرقان: ٧٤.

يذكرنا هذا الدعاء الرقيق بما ورد في دعاء الافتتاح: «**اللّٰهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ**»[1].

ويقول تعالى على لسان أنبيائه وهم يخاطبون أقوامهم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[2].

الأنبياء يأمرون أقوامهم بتقوى الله ثم بطاعتهم، وتقوى الله هي طاعة الله في الحلال والحرام، وطاعة الأنبياء هي الالتزام بولايتهم وحكمهم.

وهذه حقيقة سارية في كل رسالات الله: (تقوى الله وطاعة الأنبياء).

٣- بين الثقافة الإدارية وعلم الإدارة

إنّ الحديث عن الثقافة الإدارية في الإسلام لا يعني أنّ القرآن سيبحث علم الإدارة بحثاً منهجياً علمياً، ولا نتوقع أن نجد المبادئ العامة لهذا العلم في آياته.

لأن ميدان القرآن الأول وموضوعه الأساس هو الثقافة والمعرفة والهداية والدعوة إلى الله. ورغم كل ما تعرّف عليه العلماء من لفتات علمية هامة في القرآن، وقضايا علمية دقيقة لم يعرفها الإنسان إلاّ في وقت متأخر جدا، مع ذلك فإنّ القرآن كتاب ثقافة ومعرفة ودعوة وتوحيد، وليس كتابا في العلوم التجريبية والإنسانية وغيرها.

إن رسالة الآيات الكونية في القرآن تنبّه الإنسان إلى آيات الله تعالى في الكون، حتى لا نفقد رهافة إحساسنا بآيات الله تعالى بسبب تكرار

١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، الباب ٧٠ من أبواب كتاب الصلاة، ج٦، ص٤٧٢، ح٦.

٢. الشعراء: ١٠٨.

هـذه الآيـات علينـا وطـول الألفـة وتكـرار المشـاهدة فنمـر عليهـا غافليـن لا تحـرك مشـاعرنا، ولا تسـتجيش إحساسـنا بوجـوده تعالـى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

ومـن دعاء الإمام الحسـين عليه السلام: «**روعتنـي بعجائـب حكمتـك، وأيقظتنـي لـما ذرأت فـي سـمائك وأرضـك، وبدائـع خلقـك، ونبهتنـي لشـكرك وذكـرك**»[2].

وعنـدما نبحـث نحـن عـن الثقافـة الإداريـة فـي الإسـلام لا نتوقـع مـن القرآن أن يعطينـا الأسـس النظريـة لعلـم الإدارة، وكل ما نطلبـه فـي هـذا البحـث هـو تشـخيص ومعرفـة الثقافـة الإداريـة فـي الإسـلام، وليـس علـم الإدارة.

إننـا قـد نجـد فـي القـرآن لفتـات مـن علـم الـذرة وأخـرى مـن علـم الفيزيـاء، والكيميـاء، والطـب، ولكنهـا كلهـا تجـري ضمـن مناهـج الثقافـة العقائديـة. وكـما قلنـا يبقـى كتـاب الله للمعرفـة والثقافـة والهدايـة والدعـوة إلـى الله والتوحيـد، وليـس كتابـا فـي العلـوم التجريبيـة والرياضيـة والإنسـانية رغـم كل هـذه الآيـات وأهميتهـا.

لأن هـذه العلـوم ميدانهـا العقـل البشـري والتجـارب الإنسـانية، وقـد تـرك القـرآن هـذه المهمـة للعقـل، حتـى يكتشـف قوانينهـا، ويـدوّن مناهجهـا، ويطوّرهـا بالتجربـة الدؤوبـة المسـتمرة.

---

١. يوسف: ١٠٥.

٢. فـي نسـخة الإقبـال بهـذا اللفـظ: «**مَعْرِفَتِـكَ وَرَوِّعْتَنِـي بِعَجائِـبِ فِطْرَتِـكَ، وَأَنْطَقْتَنِـي لِـما ذَرَأْتَ فِـي سَـمائِكَ وَأَرْضِـكَ مِـنْ بَدائِـعِ خَلْقِـكَ، وَنَبَّهْتَنِـي لِذِكْـرِكَ وَشُـكْرِكَ**». علـي بـن طـاووس، الإقبـال بالأعـمال الحسـنة فيـما يعمـل مـرة فـي السـنة، ج٢، ص٧٥. وفـي نسـخة البحـار: «**وَرَوَّعْتَنِـي بِعَجَائِـبِ رَحْمَتِـكَ وَأَيْقَظْتَنِـي بِمَـا ذَرَأْتَ فِـي سَـمَائِكَ وَأَرْضِـكَ فِـي بَدَائِـعِ خَلْقِـكَ وَنَبَّهْتَنِـي لِشُـكْرِكَ وَذِكْـرِكَ**». محمـد باقـر المجلسـي، بحـار الأنـوار، ج٤٩، ص٣١٥. (مـن المحقّـق).

فكان للعقل البشري دراسة الكون والطبيعة والإنسان، وللقرآن مجاله الآخر وهو هداية الإنسان وتثقيفه وتعبيده لله تعالى وتعريفه بنفسه وبالكون وبالله تعالى، وتنظيم حياته وعلاقته بالله تعالى وبنفسه وبالمجتمع.

اذًا؛ سوف نحاول أن نستخرج من النصوص الإسلامية الأصول والأسس العامة للثقافة والأخلاق الإدارية في الإسلام.

ولا شك أن هذه الأصول والأسس تصلح أن تكون إطاراً لتدوين علم الإدارة طبقاً للثقافة الإسلامية.

ب- الأسس العقائدية للثقافة القيادية والإدارية في الإسلام

نتحدث فيما يلي بإيجاز عن الأسس العقائدية للثقافة القيادية والإدارية في الإسلام، ليكون كالتمهيد للبحث عن الثقافة القيادية والإدارية ومفرداتهما في الإسلام.

١- حاكمية الله

وهي من الأسس الهامة التي تشتق من التوحيد مباشرة، ومنه تشتق الحاكمية والسيادة للإسلام على وجه الأرض، وقد أكّد القرآن عمق هذا الأصل بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[1].

إن الألوهية في الأرض هي الحاكمية والسيادة على حياة الإنسان.

والله تعالى هو الإله الواحد المهيمن على هذا الكون، ولذلك فهو الحاكم والمشرع في حياة الإنسان، وهو مصدر كل ولاية، وسيادة،

١. الزخرف: ٨٤.

وحاكمية في حياة الإنسان، وليس لغيره من دون إذنه ولاية، وحاكمية، وسيادة على حياة الإنسان، وهذا هو معنى توحيد الألوهية[1].

وإذا آمنا بالخلق والربوبية لله تعالى، فلا بد أن نؤمن بألوهيته وحاكميته المطلقة على الإنسان، فإذا قلنا إنّ للإنسان خالق فلابد أن ننتهي إلى حاكميته المطلقة على حياته.

وقد أدرك المشركون في أول الدعوة الإسلامية المدلول الحقيقي لكلمة (الإله) و(الرب) التي تعني المدبر الحقيقي للكون والإنسان، وأدركوا كذلك أنّ رسالة هذا الدين في حياة الناس إلغاء كل حاكمية ليست في امتداد حاكمية الله، وإلغاء كل سلطان على حياة الإنسان إلاّ سلطان الله تعالى وما أذن الله تعالى وأمر به.

فيُلزمهم القرآن بأن هذه الحاكمية والهيمنة الإلهية على الكون في التكوين تستتبع وتستلزم الإذعان بسلطانه تعالى وسيادته التشريعية في حياة الإنسان. فلا يجوز تفكيك السلطان والحاكمية الإلهية في التكوين عن سلطانه وحاكميته وولايته على الإنسان في التشريع، فله الأمر وله النهي وله الحكم، ولمن أذن الله تعالى به في حياة الإنسان في امتداد ولاية الله تعالى وحاكميته.

وما مهمة الأنبياء إلاّ تثبيت الحاكمية الإلهية على الإنسان وإلغاء أيّة حاكمية أخرى من دون إذن الله.

٢- خلافة الإنسان

اختار الله تعالى الإنسان خليفة له على وجه الأرض، وأبلغ ذلك

١. محمد مهدي الآصفي، الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته: ١٢٣.

الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، ومعنى الخلافة واضح.. فإن الإنسان يقوم بعمارة الأرض وإصلاحها، وبناء المجتمع، وتنفيذ أحكام الله تعالى في الأرض، ويكون أداة طائعة لله تعالى في تنفيذ حاكمية الله وسيادته على الإنسان، على النهج الذي يأمر الله تعالى به.

فهو عامل، واعٍ، مطيع لله، يقوم في الأرض بتحقيق سلطان الله تعالى وسيادته في حياة الإنسان وتنفيذ أمره ونهيه في إعمار الإنسان، والإنسان خليفة الله والعناصر التي تكوّن هذه الخلافة هي الوعي والإرادة والطاعة، فإذا اكتملت هذه العناصر في الإنسان كان لله تعالى خليفة على الأرض.

ويتكامل هذان الأصلان، كل منهما يكمل الآخر.. حاكمية الله تعالى في حياة الإنسان وخلافة الإنسان عن الله تعالى على الأرض.

٣- الإمامة

اصطفى الله تعالى للناس أئمة، فهم يحكمون الناس ويقودون مسيرة التوحيد بإذنه. ومن أولئك إبراهيم عليه السلام حيث اختاره الله تعالى إماما للناس، يقول تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وقد أولى الله تعالى إبراهيم الإمامة بعد أن اختاره نبيا، وخاطبه بهذا الخطاب، وهو نبي ورسول لله، آتاه الله تعالى الوحي، وأمره بالتبليغ.. فلما أتمّ الكلمات وأكمل مراحل التكامل آتاه الله تعالى الإمامة.

---

١. البقرة: ٣٠.

٢. البقرة: ١٢٤.

وهـي زعامـة حركـة التوحيـد، وممارسـة الحاكميـة والولايـة علـى النـاس بأمـر الله وإذنـه فـي امتـداد حاكميـة الله، وللإمامـة علاقـة واضحـة لا تخفـى بـكل مـن حاكميـة الله وخلافـة الإنسـان. فهـي واسـطة العِقـد بيـن هذيـن الأصليـن..

الفصل الأول: التراث الإداري في سيرة رسول الله ﷺ

أكد القرآن عصمة رسول الله ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، فتكون سيرته بهذه العصمة الإلهية هدى وبصيرة.

وقد عاش رسول الله ﷺ في وسط المجتمع يومئذ رسولا قائدا يهدي الناس إلى الله، ويدخل الحروب، ويعقد الصلح، ويقيم التحالفات، ويجبي الأموال، ويتعامل مع الناس في السراء والضراء، ويعادي ويصالح، ويسالم ويقاتل.

إنها الثورة الكبرى في حياة البشرية عندما تتولى الرسالة الإلهية قيادة المجتمع البشري قيادة فعلية مباشرة، على يد قائد معصوم، وتدعو الإنسانية للدخول في هذا النور الذي شعّ في الجزيرة العربية.

ولا تتم كل هذه الإنجازات العظيمة إلاّ بإدارة مؤيدة من جانب الله، ومسدّدة، وحازمة، وصحيحة، وحكيمة، ولما كانت هذه الإدارة معصومة في السراء والضراء، فإن السيرة النبوية ستكون مصدراً للثقافة الإدارية

---

١. النجم: ٣ - ٤.

الصحيحة في حياة البشرية كلها، لأن القيادة المباشرة التي مارسها النبي ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة من عمر الدعوة والدولة لم يسجل لها التاريخ إخفاقاً واحداً.

وإذا واجه المسلمون بعض الإخفاقات كالذي حصل في معركة أحُد فالسبب يعود إلى مخالفة توجيهات هذه القيادة المعصومة.

إن الإنسان ليشعر بالاعتزاز عندما يقرأ السيرة النبوية، فيرى أن رسول الله ﷺ يقدم القيم الأخلاقية على الإنجازات العسكرية، ويوازن بين متطلبات الساحة العسكرية ومتطلبات القيم الأخلاقية التي غرسها الله تعالى في نفوس الناس، ويريدها نظاماً عاماً لحياة الناس. والدين الصحيح والقيادة الصحيحة هي التي تجمع بين متطلبات الساحة الموضوعية، ومتطلبات الضمير الإنساني، والقيم التي غرسها تعالى في نفوس الناس.

ويعتز الإنسان عندما يقرأ: أن رسول الله ﷺ أمر بإطلاق سراح الأسرى من بدر مقابل تعليم المسلمين القراءة والكتابة، وليس مقابل أن يبنوا أو يزرعوا في المدينة.

إن التقدير الفائق للعلم هو التقدير العظيم للإنسان. جلس المسلمون والأسرى في مدرسة واحدة، لكي يتعلموا القراءة والكتابة، ولم تأنف القيادة أن يكون المشركون أساتذة للمسلمين، إذا كان ذلك يصب في خدمة الإسلام.

وإليك طرفاً من الثقافة الإدارية في سيرة رسول الله ﷺ.

١- سياسة اللاعنف في مكة

ينبغي أن نعرف في الظروف الصعبة التي واجهها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وبعدها.. الأسلوب الذي اتبعه صلى الله عليه وآله في ترحيل الدعوة والمواجهة في هاتين المرحلتين.

اتبع رسول الله في المرحلة الأولى من الدعوة سياسة (اللاعنف)، والغض عن عدوان قريش واعتدائها على المسلمين، فلم يكن للمسلمين يومئذ القدرة على مواجهة قريش ورد العدوان إليهم بالمثل، ولو كانوا يقومون بشيء من ذلك لما أبقت لهم قريش بقيةً في مكة، ولَاستأصلتهم وأبادتهم..

فكان رسول الله يأمر بأن يكفّوا أيديهم عنهم، ولا يقابلوهم بالمثل، ولا يأذن لهم بالانتقام والمقابلة.

وكان صلى الله عليه وآله يمر بمشاهد لعذاب ضعفاء المسلمين من أمثال: آل ياسر، وخباب ابن الأرت، وبلال، فيأمرهم بالصبر، ولا يأذن لهم بالمواجهة والمقابلة ورد العدوان بمثله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ، وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾[1].

وكانت هذه الفترة هي أشدّ فترات الدعوة على رسول الله ٢ ومن معه من المسلمين.

والتاريخ يُبرز صوراً لأولئك الصابرين، فيذكر بلال بن رباح الحبشي، بلالاً الذي كان عبداً مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي، فاستنشق عبق الحرية والكرامة المفقودة على يد رسول الله ﷺ وأصحابه.. فالتحق

١. النساء: ٧٧.

بالركب وواصل المسير.

لقد أطّلع أمية بن خلف على ذلك، فراح يعذب بلالاً: فكانت إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره.

ويعذب خبّاب بن الارت التميمي، وكان أبوه من السبايا الذين بيعوا في مكة، وهو من المسلمين الأوائل الذين بادروا إلى التصديق برسول الله ﷺ، فأخذه الكفار، وعذبوه عذاباً شديداً، فكانوا يعرونه، ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف - وهي الحجارة المحماة بالنار - ولووا رأسه، فلم يجبهم إلى شيء مما أرادوا منه.

إنها الإدارة الراشدة للدعوة وتفقّه أصول المواجهة في الساحة، فتقف وتُحْجِمُ عندما لا تكون الظروف الموضوعية سانحة، وتقتحم الساحة عندما تتهيأ الظروف لذلك.

٢- الهجرة بحثاً عن منطقة آمنة لانطلاقة الدعوة

أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة لمّا ضاقت بهم الأرض، وأصبحوا مهددين بالفناء من قبل عتاة قريش.. وكانت الهجرة يومئذٍ ضرورية.

وقد تحقق ذلك في الهجرة الأولى إلى الحبشة بعدما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إليها لوجود الملك العادل، وكانت هذه الهجرة استطلاعا ومحاولة لفك الاختناق عن الدعوة في مكة. وكان جعفر بن أبي طالب عليه السلام يرأس الجماعة المهاجرة في الهجرة الأولى.

وأما الهجرة الثانية فقد كانت إلى المدينة، وهي تختلف في ظروفها عن الهجرة الأولى؛ لأن الغاية الأساسية من الهجرة إلى الحبشة المحافظة

على أرواح المؤمنين من بطش قريش. وكانت هذه الهجرة نقلة نوعية في مسيرة الدعوة، ومرحلة جديدة في هذه الحركة. ففي هذه الهجرة انتقلت الدعوة من مرحلة اللاعنف إلى مرحلة المواجهة والمقارعة، ومن مرحلة الدعوة إلى مرحلة السيادة والحكم.. وهذه النقلة نقلة نوعية كبيرة في حركة الدعوة.

٣- تحصين دار الهجرة

لم تكن المدينة ممهدة بشكل كامل لبناء الدولة الإسلامية على الرغم من قناعة جماعة من أهلها بالدين الجديد، ولكن هؤلاء كانوا لا يمثّلون (يثرب) بأكملها، فهناك اليهود الذين يهيمنون على الحالة الاقتصادية فيها، ويحتكرون الزراعة والتجارة والصناعات الهامة لأنفسهم في يثرب.

وهناك أيضا المشركون الذين يتربصون الدوائر بهذه الدولة الفتية للقضاء عليها.

فكان لابد لرسول الله ﷺ أن يقوم بجملة من الإجراءات الوقائية حتى يكون البناء قائماً على أساس رصين.

فكيف واجهت القيادة هذا الخطر المحدق؟ وما هي الأعمال التي قام بها رسول الله ﷺ لحماية مجتمع المدينة؟

٤- المؤاخاة

كانت خطوة المؤاخاة خطوة هامة في بداية التنظيم الاجتماعي لإزالة الحواجز النفسية بين الأفراد ثم بين الجماعات.

قام الرسول ﷺ بالمؤاخاة بين المسلمين المهاجرين أولاً، ثم آخى بين المهاجرين المكيين وبين الأنصار من أهل يثرب وكانت مؤاخاة وثيقة مؤكدة.

وبهذا الإجراء ضمنت القيادة تماسك المجتمع المدني، فلا يمكن أن يقوم رسول الله ﷺ بنشر الإسلام والدعوة إليه خارج المدينة والتصدي للأعداء التقليديين المكيين ومجتمعه منقسم على نفسه؛ لأن هجرة المسلمين أضافت حالة اجتماعية جديدة إلى الحالة القائمة في يثرب، يضاف إلى ذلك الانقسام الشديد بين الأوس والخزرج الذي بلغ حد التقاتل لسنوات عديدة.

ولكي يكون مجتمع المدينة أكثر تماسكاً، طرح رسول الله ﷺ مفهوم الأخوة الإيمانية الذي ألغى جميع الاعتبارات القبلية الأخرى.

هذا المفهوم الجديد الذي ارتقى بالأخوّة من معناها النسبي المحدود القائم على التقارب بالدماء إلى المعنى السامي الذي يصهر النفوس في بوتقة الإيمان.

ولولا إجراء المؤاخاة لاستطاع اليهود اختراق الصف الإسلامي وإثارة روح العداء كما فعلوا ذلك بين الأوس والخزرج.

وهذا الدرس الأول المستفاد من قضية المؤاخاة.

وعلى القيادة الراشدة أوّلاً أن تحمي جبهتها الداخلية، وتضمن تماسكها قبل أن تفكر بالتصدي للأعداء الخارجيين.

ولا سبيل أمام رسول الله ﷺ للتصدي لخطر اليهود المتماسكين فيما بينهم والمتحصنين بالأموال والمستعمرات الضخمة في قلاعهم سوى

الوحدة الروحية بين المسلمين التي تقود إلى الوحدة الاجتماعية.

فإنّ القائد لا ينتظر حتى يجمع الأعداء أمرهم؛ بل يحصن مجتمعه بما يتلاءم مع حجم المواجهة المرتقبة.

وعندما جاء اليهود لزرع الفتنة وجدوا المسلمين كالجسد الواحد يشدُّ بعضهم بعضاً، كالبنيان المرصوص، فعجزوا عن اختراقه بأساليبهم التقليدية: الدس والمكيدة، وعندها أعلنوها حرباً عسكرية صريحة مع الرسول ﷺ.

ه- تهديد القاعدة الاقتصادية لمكّة

لقد كان لمكة ويثرب موقع هام قبل هذا الوقت في الحركة التجارية العالمية بين الشرق والغرب، ونقصد بالشرق الإمبراطورية الفارسية والبلاد التابعة لنفوذ هذه الإمبراطورية، ونقصد بالغرب الإمبراطورية الرومانية، وكانت الشام يومئذٍ تابعة للإمبراطورية الرومانية وكانت القوافل التجارية تنطلق من اليمن إلى الشام، وتمر عبر مكة ويثرب، وكانت هاتان المدينتان بمثابة محطات استراحة تجارية آمنة لهذه القوافل، وكانت هذه القوافل التجارية الضخمة بمثابة مدينة تجارية متحركة في الصحراء - كما يقول بعض المؤرخين - وكان وضع مكة أهم وآمن من المدينة لهذه القوافل، وبطبيعة الحال كانت مكة تستفيد استفادة تجارية كبيرة من مرور القوافل التجارية عليها بين اليمن والشام.

وكانت مكة بالإضافة إلى أنها محطة استراحة للتجارة العالمية يومئذٍ كانت لها أسواق تجارية، تشبه المعارض التجارية اليوم، وكانت المدن المحيطة بأم القرى والقبائل المحيطة بها تقصدها للتجارة، وتعرض فيها منتجاتها اليدوية، وتشتري منها ما تحتاج إليه.

وكانت أسواق مكة التجارية معروفة يومذاك، وكان لأهل مكة تجارتان معروفتان مع الشام واليمن يسميها القرآن برحلة الشتاء والصيف.

ولم يكن دور رحلة الشتاء والصيف في تأمين حاجات مكة والعشائر والمدن المحيطة بها فقط، وإنما كان لتجارة مكة دور في إيصال بضائع الشام إلى اليمن، وبضائع اليمن إلى الشام.

فبادر رسول الله ﷺ إلى تهديد الطريق التجاري الذي تسلكه قافلة قريش التجارية إلى كل من الشام واليمن، وتم ذلك في معركة بدر؛ فقد استطاع أبو سفيان أن يساحل بالقافلة الذي يقودها وسلمت القافلة من مباغتة المسلمين.

ولكن الطريق التجاري التي تسلكه قوافل قريش لم يعد آمناً بعد ذلك لتجارة قريش إطلاقاً، ولم يعد تجار قريش يأمنون طريق البادية على تجارتهم، فإن الصراع التاريخي المعروف بين الفرس والروم في ذلك الوقت كان يمنع تجار كل من البلدين عن الوصول إلى البلد الآخر، وكان هذا الصراع فرصة جيدة لتجار مكة ورؤوس أموالها بالحركة بين هذين المركزين (اليمن والشام).

وكانت الصحراء رغم كل صعوباتها ممراً آمنا لهذه القوافل، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت مكة مركزاً تجارياً مرموقاً في الجزيرة كلها.

فلما انتقل المسلمون من مكة إلى المدينة بدأ رسول الله ﷺ يخطط لتعريض تجارة قريش ومركزيتها التجارية للخطر، ويخطط لإلغاء دور مكة التجاري، وبذلك تفقد مكة وقريش موقعهما التجاري الخطير، وهو جزء مهم من قوة قريش ونفوذهم السياسي في الجزيرة.

إنها الحرب الاقتصادية التي تذهل الأمم، وترهق النفوس العنيدة،

وإنها القيادة الحكيمة التي تبصر مواضع الضعف عند العدو، فتوجّه الضربات التي تصعقه وتشتت جمعه.

ومنذ الأشهر الأولى للهجرة بدأ الرسول؟ ص؟ بهذا التهديد العسكري لتجارة قريش؛ حيث أرسل السرية الأولى لاعتراض قافلة لهم، وأتبعها بغيرها..

فاضطرت قريش بعد ذلك أن تسلك طريق العراق إلى الشام. إذًا؛ لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يسلب الأمن من الطريق التجاري الرئيسي لقافلة قريش، وهي وإن سلمت من الهجوم إلاّ أن الطريق لم يعد منذ ذلك اليوم آمناً، ومن يرضى بالمغامرة بأمواله، فيرسلها مع قافلة مهددة في أي لحظة بالانقضاض المباغت عليها.

لقد سقطت تجارة المكيين، وتزلزل موقعهم الاقتصادي، وبدأت تلوح بالأفق نذر السقوط السياسي لكي يتحول موقع القوة من مكة إلى المدينة.

٦- عنصر المباغتة في الغزوات

وقد برزت الدراية الإدارية لرسول الله ﷺ أثناء خوض المسلمين معارك الجهاد مع الأعداء من خلال استخدام عنصر المباغتة مع الأعداء، فكان إذا خرج للقتال لا يعلم بخروجه أقرب الناس إليه، وهذا ما حصل عند فتح مكة وفتح خيبر، لمفاجأة الطابور الخامس من اليهود والمنافقين وسائر الأعداء وإذهالهم، فلا يدع لهم مجالاً للاستعداد وتنظيم جيوشهم، إنه الانقضاض المفاجئ على العدو في لحظة غفلته وسكونه، فلا ينتبه إلاّ وجيوش المسلمين تحيطه.

وتجلت إدارة الرسول الحربية في حفر الخندق لتحصين المدينة من احتمال اقتحام الأعداء لها. وهذه هي المباغتة في الأسلوب.

والمباغتة الثالثة المباغتة المكانية للأعداء، ففي غزوة خيبر تحرك بجيشه نحو وادي الرجيع، ثم أرسل قوة صغيرة إلى ديار غطفان يقصدها، فانشغلت بنفسها عن إسناد يهود خيبر، وبهذا حال دون تعاونها، وراح يفتح حصون خيبر واحداً تلو الآخر[1].

٧- بناء المسجد النبوي

أقام رسول الله ﷺ المسجد ليكون منطلقاً للقيادة ومركزاً لبناء الدولة إلى جانب مهام المسجد العبادية والفكرية، فكان المسجد مجمعا للمسلمين، ومدرسة، ومحلاً للعبادة، وملتقى يجمعهم، ومقرا للقيادة السياسية والعسكرية، ومثابة للمسلمين.

١. تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٤٥٤.

الفصل الثاني: التراث الإداري في حكومة الإمام علي عليه السلام

استمرت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام من الفترة ٣٥ إلى ٤٠ للهجرة، وتكون فترة حكمه قد بلغت أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام.

وقد مارس في هذه السنوات ألواناً من السياسة الإدارية الإصلاحية فقد جاء على أنقاض حكومة عثمان التي تخللها الكثير من الفساد السياسي والمالي بسبب ضعف الخليفة.

وقد كانت سياسة الإمام الإدارية والاقتصادية تنطلق من ثوابت لا يطيقها سواه، وأهم هذه الثوابت العدل.

فقد ورد عنه عليه السلام: «**اِعْدِلْ تَحْكُمْ**»[1]، وقوله: «**العَدْلُ أَفْضَلُ السّياسَتَيْنِ**»[2]. فيكون العدل هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله سياسته عليه السلام وحركته الإصلاحية العامة.

---

١. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، الباب ٣٧ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ج١١، ص٣١٩، ح٨.

٢. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ٧٧٣٢، ص٣٣٩.

واليك طرفاً من التراث الإداري في سيرة الإمام علي عليه السلام:

أولاً: السياسة الإدارية

تميزت سياسته الإدارية بعدم المداهنة مع الباطل والاقتناع بأنصاف الحلول، وقد تجلى ذلك في عزل عمال عثمان، واسترداد أموال بيت المال.

١- عزل عمال عثمان

يقول أرباب السير: لَمَّا بُويِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ إِظْهَارِ الْبَيْعَةِ لَهُ، وَقَالَ: إِنْ أَقَرَّنِي عَلَى الشَّامِ وَأَعْمَالِي الَّتِي وَلَّانِيهَا عُثْمَانُ بَايَعْتُهُ، فَجَاءَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ، وَقَدْ وَلَّاهُ الشَّامَ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ، فَوَلِّهِ أَنْتَ كَيْمَا تَتَّسِقَ عُرَى الْأُمُورِ ثُمَّ اعْزِلْهُ إِنْ بَدَا لَكَ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَتَضْمَنُ لِي عُمُرِي يَا مُغِيرَةُ فِيمَا بَيْنَ تَوْلِيَتِهِ إِلَى خَلْعِهِ قَالَ: لَا. قَالَ: لَا يَسْأَلُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ تَوْلِيَتِهِ عَلَى رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَيْلَةً سَوْدَاءَ أَبَداً: «**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**» لَكِنْ أَبْعَثُ إِلَيْهِ وَأَدْعُوهُ إِلَى مَا فِي يَدَيَّ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنْ أَجَابَ فَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ أَبَى حَاكَمْتُهُ إِلَى اللَّهِ[1].

لقد كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يبقي على معاوية، ويكون معذوراً أمام التاريخ؛ لأن الظروف السياسية المحيطة به لا تسمح له بعزل هذا الوالي العنيد الذي يمتلك واحدة من أكبر الأقاليم الإسلامية وأغناها، وهي الشام، وقد هيمن عليها وعلى أهلها بشكل يتعذر عليه إزاحته.

---

١. الطوسي، الأمالي، ص٨٧.

ولكـن الإمام لا يقبـل بأنصـاف الحلـول وإنْ حققـت لـه إنجـازا سياسـياً مؤقتـاً، فـإن مجـرد الإمضـاء علـى بقـاء معاويـة ولـو لفتـرة قصيـرة بمعنـى إعطـاء معاويـة مشـروعية البقـاء.

٢- استرداد أموال بيت المال

وكان الإنجاز الآخر هو استرداد أموال بيت المال.

فقـد ورد أن الإمام عليه السلام خطـب فـي اليـوم الثانـي مـن بيعتـه بالمدينـة، فقـال: «**ألا إن كل قطيعـة أقطعهـا عثـمان، وكل مال أعطـاه مـن مال الله، فهو مـردود فـي بيـت الـمال، فـإن الحـق القديـم لا يبطلـه شـيء، ولـو وجدتـه وقـد تـزوج بـه النسـاء، وفـرق فـي البلـدان، لرددتـه إلـى حالـه، فـإن فـي العـدل سـعة، ومـن ضـاق عنـه الحـق فالجـور عليـه أضيـق**»[1].

لقـد اسـترجع الإمام عليه السلام الأمـوال التـي أخذهـا عثـمان مـن بيـت الـمال وقسـمها علـى بنـي أميـة، فتشـكلت منهـم طبقـة اجتماعيـة ذات نفـوذ واسـع، فقـام الإمام عليه السلام بهـذا الإجـراء الصـارم، وهـو يعلـم أنـه سـوف يجـر عليـه الكثيـر مـن الأزمات فـي حكومتـه.

٣- الالتزام بالقانون

والجانـب الآخـر فـي سياسـته الإداريـة هـو الالتـزام بالقانـون اتجـاه المتخلفيـن عـن القانـون مهـما كان المذنـب يتمتـع بالحصانـة العشـائرية أو الماليـة.

تأمـل فـي هـذه الصـورة الرائعـة التـي يرسـمها لنـا الإمام الباقـر عليه السلام، عـن سـيرة الإمام علـي عليه السلام فـي تطبيـق قوانيـن الدولـة.

---

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٦٩.

فقد ورد عنه عليه السلام: «**أَخَذَ ع رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي حَدٍّ، فَاجْتَمَعَ قَوْمُهُ لِيُكَلِّمُوا فِيهِ، وَطَلَبُوا إِلَى الْحَسَنِ ع أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَالَ ائْتُوهُ وَهُوَ أَعْلَى بِكُمْ عَيْناً. فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ، فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِّي شَيْئاً أَمْلِكُهُ إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ، فَخَرَجُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْجَحُوا، فَسَأَلَهُمُ الْحَسَنُ ع، فَقَالُوا أَتَيْنَا خَيْرَ مَأْتِيٍّ وَحَكَوْا لَهُ قَوْلَهُ، فَقَالَ مَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ إِذَا جُلِدَ صَاحِبُكُمْ؟ فَأَضْغَوْهُ فَأَخْرَجَهُ عَلِيٌّ ع فَحَدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا وَاللَّهِ لَسْتُ أَمْلِكُ**»[1].

بل إنه عليه السلام أقام الحد على شاعره عندما شرب الخمر، وهو يعلم أن عاقبة ذلك غضب الشاعر والتحاقه بمعسكر معاوية، وانحراف أقاربه الذين كانوا من المقربين عند الإمام عليه السلام، الذين دخلوا على الإمام وهم في فورة الغضب والاعتراض، فقد ورد أن النَّجَاشِيَّ الشَّاعِرَ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَحَدَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَقَامَهُ فِي سَرَاوِيلَ فَضَرَبَهُ ثَمَانِينَ ثُمَّ زَادَهُ عِشْرِينَ سَوْطاً، وَقَالَ: هَذَا لِجُرْأَتِكَ عَلَى رَبِّكَ وَإِفْطَارِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَغَضِبَ وَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَةِ وَأَهْلَ الْفُرْقَةِ وَالْجَمَاعَةِ عِنْدَ وُلَاةِ الْعَدْلِ وَمَعَادِنِ الْفَضْلِ سِيَّانِ فِي الْجَزَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ مَا كَانَ مِنْ صَنِيعِكَ بِأَخِي الْحَارِثِ، فَأَوْغَرْتَ صُدُورَنَا وَشَتَّتَ أُمُورَنَا وَحَمَّلْتَنَا عَلَى الْجَادَّةِ الَّتِي كُنَّا نَرَى أَنَّ سَبِيلَ مَنْ رَكِبَهَا النَّارُ. فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ. يَا أَخَا بَنِي نَهْدٍ فَهَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَكَ حُرْمَةً مِنْ حُرَمِ اللَّهِ؟! فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ حَدّاً كَانَ

---

١. محمد بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٢، ص١٤٨؛ ونعمان بن محمد التميمي، دعائم الإسلام، ج٢، ص٤٤٣، رقم: ١٥٤٧؛ ومحمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٦، ص٩٨، ح٨؛ والمحدث النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الباب ١٨ من أبواب مقدمات الحدود وأحكامها العامة، ج١٨، ص٢٤، ح٢.

كَفَّارَتَـهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَـى يَقُـولُ فِـي كِتَابِـهِ: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[1].

٤- عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبتهم

وهـذه صـورة أخـرى للحَمْلـة العلويـة الشـاملة لتطهيـر الدولـة مـن العناصـر مـن أمثـال الأشـعث بـن قيـس الـذي اسـتعمله عثـمان علـى أذربيجـان.

فقـد ورد فـي التاريـخ: أنـه حضـر الأشـعث بـن قيـس وكان عثمان اسـتعمله علـى أذربيجـان، فأصـاب مائـة ألـف درهم.

فبعـض يقـول أقطعـه عثـمان إياهـا، وبعـض يقـول أصابهـا الأشـعث فـي عملـه، فأمـره علـي عليه السلام بإحضارهـا، فدافعـه وقال: يـا أميـر المؤمنيـن لـم أصبهـا فـي عملـك. قال: والله لئـن أنـت لـم تحضرهـا بيـت مال المسـلمين لأضربنـك بسـيفي هـذا أصـاب منـك ما أصـاب، فأحضرهـا.

وأخذهـا منـه وصيرهـا فـي بيـت مال المسـلمين، وتتبـع عـمالَ عثـمان، فأخـذ منهـم كل ما أصابـه قائـما فـي أيديهـم، وضمنهـم ما أتلفـوا[2].

وهـذه سـودة بنـت عـمارة الهمدانيـة، تصـف لنـا صرامـة الإمام عليه السلام مـع العـمال الذيـن تثبتـت خيانتهـم؛ حيـث تقـول وهـي تخاطـب معاويـة لتقـارن بيـن ظلمـه وجـوره، وعـدل أميـر المؤمنيـن عليه السلام: لَقَـدْ جِئْتُـهُ فِـي رَجُـلٍ كَانَ قَـدْ وَلَّاهُ صَدَقَاتِنَـا، فَجَـارَ عَلَيْنَـا، فَصَادَفْتُـهُ قَائِـماً يُصَلِّـي، فَلَمَّـا رَآنِـي انْفَتَـلَ مِـنْ

١. محمـد بـن شـهر آشـوب، مصـدر سـابق، ج٢، ص١٤٧؛ وابـن أبـي الحديـد المعتزلـي، شـرح نهـج البلاغـة، ج٤،ص٨٩ - ٩٠؛ وإبراهيـم بـن محمـد الثقفـي، الغـارات، ج٢، ص٣٦٩؛ ومحمـد باقـر المجلسـي، بحـار الأنـوار، ج٢٣، ص٢٧٢ - ٢٧٣.

٢. نعمان بن محمد التميمي، دعائم الإسلام، ج١، ص٣٩٦.

صَلَاتِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ بِرَحْمَةٍ وَرِفْقٍ وَرَأْفَةٍ وَتَعَطُّفٍ وَقَالَ: أَلَكِ حَاجَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ وَأَنِّي لَمْ آمُرْهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَخْرَجَ قِطْعَةَ جِلْدٍ فَكَتَبَ فِيهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا حَتَّى يَقْدُمَ عَلَيْكَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ وَ السَّلَامُ.

ثُمَّ دَفَعَ الرُّقْعَةَ إِلَيَّ، فَوَ اللَّهِ مَا خَتَمَهَا بِطِينٍ وَلَا خَزَنَهَا، فَجِئْتُ بِالرُّقْعَةِ إِلَى صَاحِبِهِ فَانْصَرَفَ عَنَّا مَعْزُولا[1].

إنّ الملاحقة للمفسدين وعدم التهاون معهم تؤدي بلا شك إلى الحياة الطيبة التي يظلّلها العدل والقانون، وهذا الرفض العلوي للشفعاء الذين يحاولون التوسط للمذنبين يؤسس للثقافة الإدارية التي يريدها الإسلام، ولسيادة القانون وخضوع الجميع له.

فليس من العدل أن تطبق مبادئ القانون بحذافيرها على الفقراء ويستثنى منها الأغنياء وأصحاب النفوذ.

٥- نهي العمال عن أخذ الهديّة

رُوي أنّ علياً استعمل رجلاً من بني أسد يقال له: ضُبَيعة بن زهير، فلما قضى عمله أتى علياً بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص١١٩؛ وعلي بن عيسى الإربلي، كشف الغمة، ج١، ص١٧٣؛ وأحمد بن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٨.

قوماً كانوا يهدون لي حتى اجتمع منه مال، فها هو ذا، فإن كان لي حلالاً أكلتُه، وإن كان غير ذاك فقد أتيتك به، فقال عليّ: لو أمسكته لكان غُلُولاً. فقبضه منه وجعله في بيت المال[1].

ومعنى الغُلول: الخيانة.

والإمام عليه السلام يريد بهذه الإجراءات الشديدة أن يحصّن الموظفين في دولته من خطر الهدايا، فإنها مقدمة للانحراف والفساد.

لأنّ الغنيّ وصاحب النفوذ وحده من يستطيع تقديم الهدايا وإقامة الولائم للمسؤولين، وكان الأولى أن تكون من نصيب الفقراء، ولكنهم يريدون بذلك شراء ضمائر الموظفين واستغلال مواقعهم في الدولة.

٦- اختيار العيون لمراقبة العمال

ورد في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى كعب بن مالك: «**أما بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد، فتسأل عن عمالي، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب**»[2].

هكذا كان يتابع عمّاله وولاته حتى يشعروا بعيونه تراقبهم في المواقع التي يديرونها.

فإن الرقابة المستمرة بلا شك تمنع من التحلل والفساد الإداري والمالي.

---

١. وكيع محمد بن خلف، أخبار القضاة، ج١، ص٥٩.

٢. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠٤.

ثانياً: السياسة الاقتصادية

١- مراقبة السوق

ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «**كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالْكُوفَةِ عِنْدَكُمْ يَغْتَدِي كُلَّ يَوْمٍ بُكْرَةً مِنَ الْقَصْرِ، فَيَطُوفُ فِي أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ سُوقاً سُوقاً، وَمَعَهُ الدِّرَّةُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَكَانَ لَهَا طَرَفَانِ، وَكَانَتْ تُسَمَّى السَّبِيبَةَ، فَيَقِفُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ سُوقٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، اتَّقُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعُوا صَوْتَهُ عليه السلام أَلْقَوْا مَا بِأَيْدِيهِمْ، وَأَزْعَوْا إِلَيْهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَسَمِعُوا بِآذَانِهِمْ، فَيَقُولُ عليه السلام: قَدِّمُوا الاسْتِخَارَةَ، وَتَبَرَّكُوا بِالسُّهُولَةِ، وَاقْتَرِبُوا مِنَ الْمُبْتَاعِينَ، وَتَزَيَّنُوا بِالْحِلْمِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْيَمِينِ، وَجَانِبُوا الْكَذِبَ، وَتَجَافَوْا عَنِ الظُّلْمِ، وَأَنْصِفُوا الْمَظْلُومِينَ، وَلَا تَقْرَبُوا الرِّبَا، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَيَطُوفُ عليه السلام فِي جَمِيعِ أَسْوَاقِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ يَرْجِعُ، فَيَقْعُدُ لِلنَّاسِ**»[1].

لابد من وجود رقابة اقتصادية صارمة للسوق في تفاصيل البيع والشراء، والمعاملات التجارية الأخرى، وفي خلاف ذلك فإنّ السوق سوف يتحول إلى مركز مؤثر للفساد الاقتصادي.

ويصف لنا الإمام الحسين عليه السلام حركة الإمام علي عليه السلام في أسواق الكوفة بشكل تفصيلي.

فقد ورد عنه عليه السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء بالكوفة، فأتى سوقا سوقا، فأتى طاق اللحامين، فقال بأعلى صوته: يا معشر القصابين لا تنخعوا، ولا تعجلوا الأنفس حتى تزهق،

١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، الباب ٥٤ من أبواب كتاب المعيشة، ج١٠، ص١٧، ح٣.

وإياكم والنفخ في اللحم للبيع، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك.

ثم أتى التمارين فقال: أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيده.

ثم أتى السماكين فقال: لا تبيعون إلا طيبا وإياكم وما حلفا [طفا].

ثم أتى الكناسة فإذا فيها أنواع التجارة من نحاس ومن مائع ومن قماط ومن بائع إبر ومن صيرفي ومن حناط ومن بزاز فنادى بأعلى صوته: إن أسواقكم هذه يحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة، وكفوا عن الحلف، فإن الله عز وجل لا يقدس من حلف باسمه كاذبا[1].

هكذا؛ ينزل الإمام عليه السلام بنفسه إلى السوق وبيده الدُرّة لكي يضرب بها المطففين والذين يغشون في تجارتهم. ويباشر هذا العمل الشاق يومياً بنفسه، ولا يكِله إلى غيره، ليطمئن بنفسه إلى سلامة حركة التجارة في السوق.

قال الأصبغ: قلتُ له يوماً أنا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين، واجلس في بيتك!

فيقول له الإمام عليه السلام: ما نصحتني يا أصبغ[2].

لقد كان المجتمع الإسلامي يومذاك، بعد ما دبّ فيه الفساد الإداري والمالي بحاجة إلى نزول أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه إلى السوق؛ لأن القوانين وحدها لا تكفي ما لم يكن هناك سلطة تنفيذية تتجسّد في

١. نعمان بن محمد التميمي، دعائم الإسلام، ج٢، ص٥٣٨؛ ومحمد بن الأشعث، الجعفريات (الأشعثيات)، ص٢٣٨.

٢. نعمان بن محمد التميمي، مصدر سابق.

أرض الواقـع.

ومـن هنـا كان الإمام عليه السلام يمثـل هـذه السـلطة ويدخـل فـي أوسـاط النـاس ليتعلمـوا منـه احتـرام النظـام وتطبيـق مبـادئ القانـون.

٢- التسامح في جباية الخراج

يصـف أحـد الرجـال - وهـو مـن ثقيـف - الذيـن اسـتعملهم الإمام علـي عليه السلام لأخـذ الخـراج، فيقـول: اسْـتَعْمَلَنِي عَلِـيُّ بْـنُ أَبِـي طَالِـبٍ عليه السلام عَلَـى بَانِقْيَـا[١] وَسَـوَادٍ مِـنْ سَـوَادِ الْكُوفَـةِ، فَقَـالَ لِـي وَالنَّـاسُ حُضُـورٌ: انْظُـرْ خَرَاجَـكَ فَجِـدَّ فِيـهِ، وَلَا تَتْـرُكْ مِنْـهُ دِرْهَـماً، فَـإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَجَّـهَ إِلَـى عَمَلِـكَ فَمُـرَّ بِـي.

قَـالَ فَأَتَيْتُـهُ، فَقَـالَ لِـي إِنَّ الَّـذِي سَـمِعْتَهُ مِنِّـي خُدْعَـةٌ[٢]، إِيَّـاكَ أَنْ تَضْـرِبَ مُسْـلِماً أَوْ يَهُودِيّـاً أَوْ نَصْرَانِيّـاً فِـي دِرْهَـمِ خَـرَاجٍ، أَوْ تَبِيـعَ دَابَّـةَ عَمَـلٍ فِـي دِرْهَـمٍ، فَإِنَّمَـا أُمِرْنَـا أَنْ نَأْخُـذَ مِنْهُـمُ الْعَفْـوَ[٣].

وقال آخـر: اسـتعملني علـي بـن أبـي طالـب عليه السلام علـى بـزرج سـابور، فقـال: لا تضربـن رجـلاً سـوطاً فـي جبايـة درهـم، ولا تبيعـن لهـم رزقاً، ولا كسـوة شـتاء ولا صيـف، ولا دابـة يعتملـون عليهـا، ولا تقـم رجـلاً قائـماً فـي طلـب درهـم.

قال: قلـت: يـا أميـر المؤمنيـن، إذاً أرجـع إليـك كـما ذهبـت مـن عنـدك! قال: وإن رجعـت كـما ذهبـت، ويحـك إنّـما أُمرنـا أن نأخـذ منهـم العفـو - يعنـي الفضـل[٤].

---

١. بَانِقْيَا: مكان قرب الكوفة.

٢. حتـى لا يتهـاون النـاس فـي أداء الخـراج، صرامـة فـي القـرار والتقنيـن وتسـامحا فـي التنفيـذ.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ١٤ من أبواب زكاة الأنعام، ج٩، ص١٣٢، ح٦.

٤. علـي أكبـر كلانتـرى، الجزيـة وأحكامهـا فـي الفقـه الإسـلامي، ص١٦٧ نقـلا عـن السـنن

٣- عدم التأخير في توزيع أموال العامة

ويروي أحدهم أنه قال: شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أُتِيَ بِمَالٍ عِنْدَ الْمَسَاءِ، فَقَالَ: اقْسِمُوا هَذَا الْمَالَ.

فَقَالُوا: قَدْ أَمْسَيْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَخِّرْهُ إِلَى غَدٍ. فَقَالَ لَهُمْ: تَقْبَلُونَ لِي أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ؟!

قَالُوا: مَا ذَا بِأَيْدِينَا! قَالَ: فَلَا تُؤَخِّرُوهُ حَتَّى تَقْسِمُوهُ.

فَأُتِيَ بِشَمْعٍ، فَقَسَمُوا ذَلِكَ الْمَالَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ[1].

٤- التوزيع بالسويّة

في الكافي عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنَ الشِّيعَةِ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ أَخْرَجْتَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ فَفَرَّقْتَهَا فِي هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَشْرَافِ، وَ فَضَّلْتَهُمْ عَلَيْنَا حَتَّى إِذَا اسْتَوْسَقَتِ الْأُمُورُ عُدْتَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ اللَّهُ مِنَ الْقَسْمِ بِالسَّوِيَّةِ وَ الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَ تَأْمُرُونِّي! وَيْحَكُمْ أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ!! لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ، وَمَا رَأَيْتُ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ مَالِي لَسَاوَيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ؟![2].

وهذه دروس قيادية يرسلها أمير المؤمنين عليه السلام عبر التاريخ إلى كل

الكبرى البيهقي، كتاب الجزية، باب النهي عن التشديد في جباية الخراج، ج٩، ص٢٠٥.

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤٠ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه، ج١٥، ص١٠٨، ح١؛ والطوسي، الأمالي، ص٤٠٤.

٢. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، الباب ٧٣ من أبواب الصدقة، ج٧، ص٢٨١، ح٣.

مـن يتصـدى لموقـع قيـادة الجماعـة المؤمنـة وإدارتهـا، ليتعلـم هـذه القـوة والصرامـة فـي الحـق والرحمـة والتسـامح مـع الطبقـة المسـتضعفة مـن النـاس.

فيـا لله! كيـف اجتمعـت فـي تلـك الشـخصية العجيبـة هـذه الأضـداد مـن الصفـات: الليـن، والرحمـة، والرقـة، والعاطفـة، مـن جانـب. والصرامـة، والقـوة، والحسـم، والحـزم، مـن جانـب آخـر.. كلٌّ فـي موقعـه.

ثالثا: السياسة الأمنية

ورد عـن أميـر المؤمنيـن عليه السلام أنـه قال: شـر البـلاد بلـد لا أمـن فيـه، ولا خصـب[1].

وفـي هـذا الجانـب مـن قيادتـه وإدارتـه عليه السلام نريـد أن نتبيـن الإجـراءات الأمنيـة التـي اتخذهـا الإمام عليه السلام فـي دولتـه:

١- الاستخبارات الأمنية

فـي كتابـه عليه السلام إلـى عمالّـه يقـول: بسـم الله الرحمـن الرحيـم – مـن عبـد الله علـي أميـر المؤمنيـن إلـى مـن قـرأ كتابـي هـذا مـن العـمال:

أما بعـد؛ فـإن رجـالاً لنـا عندهـم بيعـة خرجـوا هربـاً فنظنهـم وجهـوا نحـو بـلاد البصـرة، فاسـأل عنهـم أهـل بـلادك، وأجعـل عليهـم العيـون فـي كل ناحيـة مـن أرضـك، ثـم أكتـب إلـيّ بـما ينتهـي إليـك عنهـم، والسـلام[2].

وكان الإمام عليه السلام حريصـا علـى الجانـب الاسـتخباراتي فـي حروبـه، فقـد روي

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ١٠٢٥٥، ص٤٤٧.

٢. إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات، ج١، ص٢٢٥.

أنه في وقعة صفين بعث عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادة، فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيون علي فأخبرته بما قد كان، فقال علي لأصحابه: فما ترون فيما هاهنا؟ فقال بعضهم: نرى كذا، وقال بعضهم: نرى كذا. فلما رأى ذلك الاختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى القتال قتال صفين، فانهزم أهل الشام[1].

٢- إجلاء المتآمرين أو حبسهم

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عليه السلام حِينَ سَارَ إِلَى النَّهْرَوَانِ رَجُلًا مِنَ النَّخَعِ يُقَالُ لَهُ: هَانِئُ بْنُ هَوْذَةَ، فَكَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ غَنْياً وَبَاهِلَةَ فَتَنُوا فَدَعَوُا اللَّهَ عَلَيْكَ أَنْ يُظْفَرَ بِكَ.

قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام أَجْلِهِمْ مِنَ الْكُوفَةِ، وَلَا تَدَعْ مِنْهُمْ أَحَدًا[2].

رابعاً: السياسة العسكرية

خاض أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكومته ثلاثة حروب رئيسية هي الجمل، وصفين، والنهروان. وقد حقق فيها انتصارات عظيمة، ولولا تخاذل جيشه في صفين لتمكن من اكتساح جيش الشام والقضاء على نفوذ معاوية.

هذه الانتصارات لم تأت من فراغ؛ بل من الإدارة الحكيمة للجيش وللعمليات القتالية، ومن خلال التنظيم الدقيق للقوات المسلحة. يقول

---

١. نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص٣٦٠.

٢. إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات، ج١، ص١١؛ ومحمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٣٥٦.

ابن عباس: عَقِمَ [عَقِمَتِ] النِّسَاءُ أَنْ يَأْتِينَ بِمِثْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع مَا كَشَفَتِ النِّسَاءُ ذُيُولَهُنَّ عَنْ مِثْلِهِ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فَارِساً مُحْدَثاً يُوزَنُ بِهِ لَرَأَيْتُهُ يَوْماً وَنَحْنُ مَعَهُ بِصِفِّينَ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ وَكَأَنَّ عَيْنَيْهِ سِرَاجَا سَلِيطٍ يَتَوَقَّدَانِ مِنْ تَحْتِهِمَا يَقِفُ عَلَى شِرْذِمَةٍ شِرْذِمَةٍ يَحُضُّهُم..[1].

وقد تجلت عبقرية الإمام عليه السلام الإدارية لقواته المسلحة بعدة أمور:

١- تنظيم الجيش

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا زحف للقتال جعل ميمنة وميسرة وقلباً يكون هو فيه، ويجعل لها روابط، ويقدم عليها مقدمين، ويأمرهم بخفض الأصوات، والدعاء، واجتماع القلوب، وشهر السيوف، وإظهار العدة، ولزوم كل قوم مكانهم، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة.

وفي وصيته عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو: فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ[2] أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدّاً، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ أَوِ اثْنَيْنِ.

وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ؛ لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ.

وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٦٠١؛ وعماد الدين الطبري، بشارة المصطفى، ص١٤١.

٢. قُبُلِ الْأَشْرَافِ: المرتفع من التلال.

جَمِيعـاً، وَإِذَا غَشِـيَكُمُ اللَّيْـلُ فَاجْعَلُـوا الرِّمَـاحَ كِفَّـةً وَلَا تَذُوقُـوا النَّـوْمَ إِلَّا غِـرَاراً أَوْ مَضْمَضَـةً[1].

هـذه الوصيـة تذكرنـا بقيـادة الرسـول صلى الله عليه وآله لجيشـه فـي معركـة أُحُـد، وكيـف أنـه وضـع العيـون علـى الجبـل، وكانـت تقـود المسـلمين إلـى النصـر الأكيـد لـولا مخالفـة الـرماة تعاليمـه صلى الله عليه وآله.

٢- تأسيس القوات الخاصة

وقـد قام أميـر المؤمنيـن عليه السلام بتأسـيس شـرطة الخميـس، وكان قوامهـا سـتة آلاف رجـل مـن أصحابـه المخلصيـن، وقـد ضمـت فـي كيانهـا أسـماء لامعـة مثـل عـمار بـن ياسـر، وجابـر بـن عبـد الله الأنصـاري، عمـرو بـن الحمـق الخزاعـي، واصبـغ بـن نباتـه، وميثـم التـمار، ورشـيد الهجـري، وحبيـب بـن مظاهـر الأسـدي، ومحمـد بـن أبـي بكـر، وقنبـر مـولاه وغيرهـم مـن أصفيـاء أصحابـه[2].

ويبـدو أن هـذه القـوة الخاصـة ادخرهـا الإمام عليه السلام للتدخـل فـي المهـمات الخاصـة التـي تتطلـب مواصفـات خاصـة فـي شـخصية المقاتـل.

وعَـنْ أَبِـي الْجَـارُودِ، قَـالَ قُلْـتُ لِلْأَصْبَـغِ بْـنِ نُبَاتَـةَ مَـا كَانَ مَنْزِلَـةُ هَـذَا الرَّجُـلِ - يعنـي عليـا عليه السلام - فِيكُـمْ؟ قَـالَ مَـا أَدْرِي مَـا تَقُـولُ إِلَّا أَنَّ سُـيُوفَنَا كَانَـتْ عَلَـى عَوَاتِقِنَـا، فَمَـنْ أَوْمَـى إِلَيْـهِ ضَرَبْنَـاهُ بِهَـا.

وَكَانَ يَقُـولُ لَنَـا تَشَـرَّطُوا فَـوَ اللَّهِ مَـا اشْـتِرَاطُكُمْ لِذَهَـبٍ وَلَا لِفِضَّـةٍ، وَمَـا اشْـتِرَاطُكُمْ إِلَّا لِلْمَـوْتِ، إِنَّ قَـوْماً مِـنْ قَبْلِكُـمْ مِـنْ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ تَشَـارَطُوا بَيْنَهُمْ،

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ١١، من وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو، ص٣١٧.

٢. المفيد، الاختصاص، ص٢ - ٤.

فَمَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَانَ نَبِيَّ قَوْمِهِ أَوْ نَبِيَّ قَرْيَتِهِ أَوْ نَبِيَّ نَفْسِهِ، وَإِنَّكُمْ لَبِمَنْزِلَتِهِمْ غَيْرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ بِأَنْبِيَاءَ[1].

ومن هذا الوصف يتضح أنّ السمة الأساسية التي تميزت بها هذه القوة الضاربة هي الطاعة الكاملة لأوامر الإمام عليه السلام، والخضوع الكامل لإرادته عليه السلام خضوع الذي لا يناقش ولا يحتج ولا يعترض، فإن الأسماء التي ضمها كيان شرطة الخميس بلغت في مستوى الإخلاص والانقياد لأوامر الإمام عليه السلام ما جعل أصحابها مؤهلين تأهيلاً تاماً لهذه المهمة الخاصة.

فقد رُوي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْحَضْرَمِيِّ يَوْمَ الْجَمَلِ: أَبْشِرْ يَا ابْنِ يَحْيَى فَأَنْتَ وَأَبُوكَ مِنْ شُرْطَةِ الْخَمِيسِ حَقّاً، لَقَدْ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِاسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ فِي شُرْطَةِ الْخَمِيسِ، وَاللَّهُ سَمَّاكُمْ شُرْطَةَ الْخَمِيسِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عليه السلام. وَذَكَرَ أَنَّ شُرْطَةَ الْخَمِيسِ كَانُوا سِتَّةَ آلَافِ رَجُلٍ أَوْ خَمْسَةَ آلَافٍ[2].

٣- الحرب خدعة

عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَكَانَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي حُرُوبِهِ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ فِي يَوْمَ الْتَقَى هُوَ وَمُعَاوِيَةُ بِصِفِّينَ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ لِيُسْمِعَ أَصْحَابَهُ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ، ثُمَّ يَقُولُ فِي آخِرِ قَوْلِهِ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، يَخْفِضُ بِهَا صَوْتَهُ.

وَكُنْتُ قَرِيباً، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ حَلَفْتَ عَلَى مَا قُلْتَ ثُمَّ اسْتَثْنَيْتَ، فَمَا أَرَدْتَ بِذَلِكَ؟ فَقَالَ لِي: إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَأَنَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ كَذُوبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُحَرِّضَ أَصْحَابِي عَلَيْهِمْ لِكَيْ لَا يَفْشَلُوا، وَلِكَيْ

١. الكشي، رجال الكشي، ص٥.

٢. المصدر نفسه، ص٦.

يَطْمَعُوا فِيهِمْ، فَأَفْقَهُهُمْ يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[1].

٤- المسالمة من دون وهن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: وجدتُ المسالمة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال[2].

وعنه عليه السلام: من أفضل النصح الإشارة بالصلح[3].

وفي عهده إلى مالك الأشتر: وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَ رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَ أَمْناً لِبِلَادِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ[4].

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣٦ من أبواب كتاب الأيمان، ج٢٣، ص٢٧٣، ح١.

٢. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم، حكمة: ١٠١٧٧، ص٤٤٥.

٣. المصدر نفسه، الحكمة ٤٥٥٤، ص٢٢٥.

٤. نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٨٠.

الفصل الثالث: الثقافة القيادية والإدارية في القرآن

يقرر القرآن الكريم حاكمية الدين وسيادته، وإذًا؛ فلا بد أن يرسم لنا المقومات الأساسية للثقافة الإدارية لعدم انفكاك الحاكمية والسيادة عن الإدارة.

وقد مارس الإسلام بالفعل القيادة العملية للجماعة المؤمنة على مسرح التاريخ الإنساني، ومن ثَم قيادة الدولة الإسلامية. وقد حقق إنجازات واسعة بهذه القيادة الفذة بلغت في مداها الزمني حدّ الإعجاز التاريخي.

تأمّل حال المؤمنين الذين كانوا يخافون أن يتخطفهم مشركوا قريش في فجر الدعوة الإسلامية، تجد أن هذه الثلة المؤمنة المستضعفة أصبحت فيما بعد أمة ودولة تخشاها الأكاسرة والقياصرة، ويحسبون لها ألف حساب.

وبعض السرّ في هذا الإنجاز التاريخي المعجز هو القيادة الصحيحة لتلك الجماعة في كل حركاتها وسكناتها إلى جانب دور الإيمان وتعليمات الإسلام في تحقيق هذه المعجزة الكبرى في التاريخ.

وفيما يلي نستعرض طائفة من التعليمات القرآنية بخصوص ثقافة القيادة والإدارة:

١- آية الشورى

يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

هذه الآية تجمع مفاهيم أساسية عن الإدارة هي: اللين، واجتناب الفظاظة والغلظة في القول والعمل، والعفو، والمسامحة، والشورى، والقرار، والعزم، والحزم.

وليتأمل القارئ الأجواء التربوية التي تختزنها هذه المفاهيم.

وسيبقى للقرآن قصب السبق في الثقافة القيادية والإدارية للمجتمع، والتي لم تشهد الإنسانية مثيلا لها ينافسه فيها في تاريخها الطويل.

ففي هذه الآية دعوة إلى استخدام اللين والرحمة في الإدارة، واجتناب الغلظة والفظاظة، لئلا ينفض الناس من حول القائد، ويبقى وحده، ولئلا يضطر القائد أن يجمع الناس ويديرهم بالعنف والإرهاب ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

إن استقطاب قلوب الناس واجتذابهم هو أفضل تعريف لشخصية القائد، ومن أبرز قيم الإدارة والقيادة..

ثم بعد ذلك تذكر الآية الكريمة خصالا ثلاثة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

---

١. آل عمران: ١٥٩.

لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وأيّة ثلاثة؟

العفو، والاستغفار، والاستشارة

هذه الخصال الثلاثة وهي الرحمة، والليـن، والعفو في الأخطاء، والمخالفات الصغيرة ليست خرقاً للقانون، والرحمة والتسامح في مثل هذه الهفوات من التسامح المحدود.

والاستغفار والدعاء للناس له تأثير طيب في قلوب الناس، وتبقى استجابته من الله.

والله تعالى يحب أن يدعو بعضنا لبعض، ويستغفر بعضنا لبعض، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو لهم عندما يأخذ منهم صدقاتهم ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. إن الدعاء والاستغفار والصلاة من الناس للناس سكن واستقرار وطمأنينة لنفوسهم يأمرنا به الله تعالى. ومن القائد للناس أطيب وأدعى للسكون والطمأنينة.

هذه السعة في الصدر، والليـن، والرحمة، والعفو، والاستغفار كانت الإدارة المفضلة في إدارة الدعوة والدولة في السيرة النبوية، وقد أكسبت رسول الله ﷺ في مساحة الدعوة والدولة أشد أعدائه وخصومه، وقد ورث أهل بيته عليهم السلام عنه ﷺ هذه الخصلة في العفو والتجاوز وسعة الصدر في التعامل مع الناس.

يُروى أن رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي طالب عليه السلام إذا رأى موسى ابن جعفر، و يؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض

١. التوبة: ١٠٣.

مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا، ثم مضى راكبا حتى قصده في مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده، فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لا أدري.

قال: إنما سألتك كم ترجو؟ قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقبل رأسه. فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه، وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، فوثب أصحابه عليه و قالوا: ما هذا؟!

فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلم عليه ويقوم له.

فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيما كان خيرا ما أردتم أو ما أردت؟[1].

هذه الروح العالية في التعامل مع الناس هي التي يأمر بها القرآن، يقول تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

ويوصي أمير المؤمنين عليه السلام بها عامله على مصر مالك الأشتر رضوان الله عليه: «**فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ**»[3].

ثم تأمر الآية الكريمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالمشاورة ومشاركة الناس في صناعة القرار:

---

١. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤١٣.

٢. فصلت: ٣٤.

٣. نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٧٢.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1].

والشورى هي المشاركة في الرأي، فلا يجوز للقائد أن يستبد بالرأي، ويحجب الناس عن الرأي والمشاركة في صناعة القرار، والله ورسوله غنيان عن المشورة، ولكن الله تعالى يريد لرسوله ﷺ أن يطيّب بذلك قلوب الناس. وأما الكلمة الأخيرة؛ وهي القرار، فيبقى لرسول الله ﷺ وأولياء الأمور من بعده.

والنخبة التي تعطي الرأي والمشورة لولي الأمر يجب أن تكون نخبة صالحة كفوءة مؤمنة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ**»[2].

إنّ للشورى معطيات نفسية كبيرة في نفوس الجماعة، فهي تعزز الثقة في نفوس المؤمنين، وتضاعف شعورهم بالمسؤولية إزاء نتائج القرار السلبية أو الإيجابية، كما إنها تفتح للقائد آفاقاً جديدة من الرأي عندما تجتمع الآراء عنده، فيختار أنسبها وأصلحها للظروف المحيطة به.

وهذه المشاركة العقلية والنفسية من الناس تعطي للقرار السياسي والإداري والعسكري قوّة أكثر.

ولكل قرار، مهما كان صالحاً سلبيات، فإذا أشرك الناس في صناعة القرار فإنهم بالضرورة يتحملون سلبياته معه، وهي أعظم إسناد للقيادة

---

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٦٩.

بعد معية الله تعالى؛ بل هي من منازل معية الله تعالى ونصره، فإن الله تعالى إذا عرف صدق القيادة والقاعدة في التعاون، والتعاضد، والتشاور، والتعامل في إنجاز مهام القيادة والإدارة أنزل عليهم نصره وتأييده.

القرار والتوكل على الله في تنفيذ القرار

ثم يقول تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وهذه هي المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة القرار، وهي للقائد والإمام وولي الأمر بالتأكيد، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وليس في الآية الكريمة ما يدل على أن العزم مرتبط بالشورى.

الشورى غير مُلزِمة

إذًا؛ على القائد واجبان:

الواجب الأول: الاستشارة والاستعانة بالآخرين في الرأي.

والواجب الثاني: أن يتخذ القرار في ضوء هذه الاستشارة، ويقلّب الآراء بما يراه الإمام أو القائد.

وليس في الآية الكريمة ما يدل على إلزام الإمام برأي معين من الآراء؛ حتى رأي الأكثرية، والإلزام الوارد في الآية الكريمة في أصل الاستشارة، وليس في القرار والتنفيذ.

نعم؛ لا يصح أن يكون دأب الإمام هو مخالفة رأي جمهور أصحاب الرأي والحل والعقد، دائماً أو غالباً، كما هو دأب الحكام المستبدين بالحكم. فإن هذه الخصلة تتعارض مع فلسفة الشورى التي تشير إليها

١. آل عمران: ١٥٩.

الآيـة الكريمـة نفسـها فـي صدرهـا.

٢- آية المصابرة والمرابطة

يقـول تعالـى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

الصبر: (اصْبِرُوا)

هـذه الآيـة تدعـو المؤمنيـن إلـى التحلـي بالصبـر فـي جميـع المجـالات؛ الصبـر علـى الشـدائد والأهـوال، والصبـر فـي طاعـة الله، والصبر علـى المعصية وعـدم الخضـوع لشـهوات النفـس.

المصابرة: (وَصَابِرُوا)

والمصابـرة هـي التصبـر وتحمـل الأذى جماعـةً باعتـماد صبـر البعـض علـى صبـر آخريـن، فيتقـوى الحـال، ويشـتد الوصـف، ويتضاعـف تأثيـره، وهـذا أمـر محسـوس فـي تأثيـر الفـرد إذا اعتبـرت شـخصيته فـي حـال الانفـراد، وفـي حـال الاجتـماع والتعـاون بإيصـال القـوى بعضهـا ببعـض[٢].

وفـي غيـاب عنصـر المصابـرة والصبـر تكـون النفـوس غيـر متحملـة للتكاليـف، ويبـدأ اختـلاق الأعـذار للإفـلات مـن الأوامـر والنواهـي الصـادرة، وعندهـا يدعـو الله تعالـى رسـولَه أن يرفـض منهـم الاعتـذار.

قال تعالـى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾[٣]،

---

١. آل عمران: ٢٠٠.

٢. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٩١.

٣. التوبة: ٩٤.

إنـه الاعتـذار النفسـي المعبـر عـن ضعـف النفـس البشـرية إزاء التحديـات، وإنهـا النفـوس التـي تختبـئ فـي دهاليـز الأنـا لكـي تشـعر بالأمـن؛ لأن التحـدي أرعبهـا، فلجـأت إلـى الاعتـذار؛ طلبـاً للعافيـة، فالاعتـذار يضمـن لهـا مشـاركة الجماعـة فـي الغنائـم، كـما يضمـن لهـا السـلامة مـن عنـاء المشـاركة.

إلـى هـذا المسـتوى المخيـف مـن الأعـذار يمكـن أن يبلـغ الإنسـان إذا فقـد عنصـر الصبر.

إن مـن أهـم أسـباب نجـاح الجماعـة المؤمنـة فـي صـدر الإسـلام الصبـر والمصابـرة علـى التكاليـف الإلهيـة؛ مهـما بلغـت فـي حجمهـا وطبيعتهـا، وعلـى مـكاره المواجهـة وتحديـات الأعـداء.

صبـروا علـى الجهـاد فـي سـاحة المعركـة، فـكان أحدهـم يواصـل القتـال، ويحمـل السـيف، والجـراح تجلّلـه، والـدماء تنـزف منـه.

صبـروا علـى أذى المشـركين الذيـن أسـرفوا فـي تعذيبهـم بالسَـوط والكـيّ بالرمضـاء ومصـادرة الأمـوال وهـدم الديـار وقتـل الأبريـاء والتضييـق فـي الأرزاق.

صبـروا علـى شـهوات النفـس ومخالفـة الـذات، وآثـروا رضـا الله علـى رضاهـا، وحاربـوا أشـد الغرائـز تمكّنـا فـي النفـس الإنسـانية وأعنـف الشـهوات الجسـدية رسـوخاً.

هـذه المصابـرة هـي التـي نقرأهـا فـي سـورة العصـر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]، فـإن التواصـي بالصبـر هـو أن تتمسـك الجماعـة المؤمنـة بالتصابـر والمصابـرة، والتواصـي بالصبـر يضعهـا أمام تحديـات المواجهـة ويمنحهـا

١. العصر: ٣.

القـوّة والمقاومـة.

وهـو أحـد اثنيـن فـي مسـيرة الجماعـة الصالحـة المؤمنـة: الأول هـو التواصـي بالحـق، والثانـي: هـو التواصـي بالصبـر.

وتواصَوا بالحق وتواصَوا بالصبر

والتواصـي بالحـق؛ هـو التعاضـد والتعـاون فـي معرفـة الحـق، والتواصـي بالصبـر؛ هـو التصابـر والمصابـرة فـي الثبـات علـى الحـق.

وكلٌّ منهـما صعـب؛ معرفـة الحـق، وقـد زل الكثيـر فـي هـذه النقطـة. والثبـات عليـه، وقـد اهتـز الكثيـر فـي هـذه النقطـة أيضـا، وتراجعـوا وتخلفـوا عنـه.

المرابطة: (وَرَابِطُوا)

المرابطـة: هـي حمايـة الحـدود والثغـور الإسـلامية مـن تسـلّل الجواسـيس الذيـن يعيثـون فـي البـلاد فسـاداً إذا وجـدوا الحـدود سـهلة الاختـراق لا تملـك التحصيـن الكافـي.

وقـد خـصّ الإمام السـجاد عليه السلام أهـل الثغـور بالـدعاء الخـاص «**اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ، وَحَصِّـنْ ثُغُـورَ الْمُسْـلِمِينَ بِعِزَّتِـكَ، وَأَيِّـدْ حُمَاتَهَـا بِقُوَّتِـكَ، وَأَسْـبِغْ عَطَايَاهُـمْ مِـنْ جِدَتِـكَ**»[1]؛ لأن أهـل الثغـور هـم العيـن السـاهرة التـي تراقـب الحـدود الإسـلامية مـن خطـر اقتحـام الأعـداء وتسـلل المفسـدين.

وهنـاك معنـى آخـر للمرابطـة يذكـره السـيد الطباطبائـي فـي الميـزان،

١. الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام لأهل الثغور، الدعاء ٢٧، ص١٠٥.

يقول: «**وَرَابِطُوا أعم من معنى المصابرة، وهي إيجاد الجماعة والارتباط بين قواهم وأفعالهم في جميع شؤون حياتهم الدينية أعم من حال الشدة وحال الرخاء**»[1].

فالمرابطة إذًا؛ حالة الارتباط الشديد بين أفراد الجماعة، وهي حالة يخلقها الصبر الذي يشد أجزاء الجماعة، فيكون لها كيان ذو شخصية مميزة. فإن للعمل الجمعي هيبته في نفوس الأعداء الذين يرهبهم تجمع المسلمين في روابط منظمة تنظيماً عالياً.

٣- الآيات التي نزلت في انتكاسة المسلمين في معركة أُحُد

نزل في معركة أحُد آيات عديدة في سورتي (آل عمران) و(النساء). هذه الآيات غالباً تتعلق بالثقافة القيادية والإدارية والعسكرية في الإسلام، ونحن نتحدث عن هذه المعركة وما استتبعها من غزوة حمراء الأسد بإيجاز، ثم نتحدث عن الآيات النازلة في القرآن في هذه المعركة، والدروس التي يستخلصها القرآن منها في سورتي النساء وآل عمران.

قصة المعركة

في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان سبب غزوة أُحُد أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر لأنه قتل منهم سبعون وأُسر سبعون، قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإن الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد، فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحُد أذنوا لنسائهم في البكاء والنوح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي

١. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٩٢.

راجـل وأخرجـوا معهـم النسـاء.

فلـما بلـغ رسـولَ الله ﷺ ذلـك جمـع أصحابـه وحثهـم علـى الجهـاد، فقـال عبـد الله بـن أبـي سـلول: يـا رسـول الله لا نخـرج مـن المدينـة حتـى نقاتـل فـي أزقتهـا، فيقاتـل الرجـل الضعيـف والمـرأة والعبـد والأمـة علـى أفـواه السـكك وعلـى السـطوح، فـما أرادهـا قـوم قـطّ فظفـروا بنـا ونحـن فـي حصوننـا ودروبنـا، وما خرجنـا إلـى عـدو لنـا قـطّ إلا كان الظفـر لهـم علينـا.

فقـام سـعد بـن معـاذ وغيـره مـن الأوس، فقالـوا: يـا رسـول الله ما طمـع فينـا أحـد مـن العـرب ونحـن مشـركون نعبـد الأصنـام فكيـف يطمعـون فينـا وأنـت فينـا؟! لا؛ حتـى نخـرج إليهـم فنقاتلهـم، فمـن قتـل منـا كان شـهيدا، ومـن نجـا منـا كان قـد جاهـد فـي سـبيل الله.

فقبـل رسـول الله رأيـه وخـرج مـع نفـر مـن أصحابـه يتبـوءون موضـع القتـال كـما قال تعالـى «**وَإِذْ غَـدَوْتَ مِـنْ أَهْلِـكَ**» الآيـة، وقعـد عنـه عبـد الله بـن أبـي سـلول وجماعـة مـن الخـزرج اتبعـوا رأيـه.

ووافـت قريـش إلـى أُحُـد، و كان رسـول الله عبّـأ أصحابـه وكانـوا سـبعمائة رجـل، ووضـع عبـد الله بـن جبيـر فـي خمسـين مـن الـرماة علـى بـاب الشِّـعب وأشـفق أن يأتـي كمينهـم مـن ذلـك المـكان، فقـال لعبـد الله بـن جبيـر وأصحابـه: إن رأيتمونـا قـد هزمناهـم حتـى أدخلناهـم مكـة فـلا تبرحـوا مـن هـذا المـكان، وإن رأيتموهـم قـد هزمونـا حتـى أدخلونـا المدينـة فـلا تبرحـوا وألزمـوا مراكزكـم.

ووضـع أبـو سـفيان خالـد بـن الوليـد فـي مائتـي فارس كمينـا، وقال: إذا رأيتمونـا قـد اختلطنـا فاخرجـوا عليهـم مـن هـذا الشـعب حتـى تكونـوا وراءهم.

وعبّـأ رسـول الله أصحابـه، ودفـع الرايـة إلـى أميـر المؤمنيـن عليه السلام، وحمـل

الأنصارُ على مشركي قريش، فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم.

وانحطّ خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام، فرجع. ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينتهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله: اتقوا الله؛ فإن رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلا.

وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدي من بني عبد الدار فقتله علي عليه السلام، وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي، وسقطت الراية فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله علي، حتى قتل تسعة نفر من بني عبد الدار حتى صار لواهم إلى عبد لهم أسود يقال له ثواب، فانتهى إليه علي عليه السلام فقطع يده اليمنى، فأخذ اللواء باليسرى، فضرب يسراه فقطعها، فاعتنقها بالجذماوين إلى صدره، ثم التفت إلى أبي سفيان، فقال هل أعذرت في بني عبد الدار؟ فضربه علي على رأسه فقتله، وسقط اللواء، فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية، فرفعتها.

وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر أصحابه، وبقي في نفر قليل، فقتلهم على باب الشِّعب، ثم أتى المسلمين من أدبارهم، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلاذوا بها.

وانهزم أصحاب رسول الله هزيمة عظيمة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه، فلما رأى رسول الله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال إليّ أنا رسول الله؛ إلى أين تفرون عن الله تعالى وعن رسوله؟

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلا ومكحلة، وقالت إنما أنت امرأة، فاكتحل بهذا. وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا أو عليا أو حمزة لأُعطينّك كذا وكذا. وكان وحشي عبدا لجبير بن مطعم حبشيا، فقال وحشي: أما محمد فلم أقدر عليه: وأما علي فرأيته حذرا كثير الالتفات، فلا مطمع فيه. فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هدا، فمر بي فوطئ على جرف نهر فسقط، وأخذت حربتي، فهززتها ورميته بها، فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته، فسقط، فأتيته فشققت بطنه، وأخذت كبده، وجئت به إلى هند، فقلت هذه كبد حمزة، فأخذتها في فمها، فلاكتها، فجعله الله في فمها مثل الداعضة - وهي عظم رأس الركبة - فلفظتها و رمت بها..

ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وعلي، فكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم علي فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه، فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، وانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أُحُد، فوقف وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في رأسه ووجهه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة (كذا أورده علي بن إبراهيم في تفسيره)، فقال جبرائيل: إن هذه لهي المواساة يا محمد، فقال محمد: إنه مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما.

قال أبو عبد الله نظر رسول الله ﷺ إلى جبرائيل بين السماء والأرض على كرسي من ذهب وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي[1].

١. الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٨٢٤.

واقعة حمراء الأسد

بعد انتكاسة المسلمين في معركة أُحُد وعودة المسلمين إلى المدينة، بات وجوه الأنصار على باب رسول الله صلى الله عليه وآله خوفاً من كثرة العدو، فلما طلع الفجر أذّن بلال لصلاة الفجر.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالاً أن ينادي المسلمين للخروج صبيحة يوم الأحد وكانت وقعة أُحُد يوم السبت، وأمر كذلك أن ينادي بأن لا يخرج إلاّ من كان معنا بالأمس. حتى إن عبد الله بن أُبي أستأذن رسول الله أن يخرج معه فلم يأذن له. فخرج إلى حمراء الأسد كل من شهد أحد وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون.

وتسامعت قريش بخروج المسلمين وغضبهم وخروج رسول الله وهو جريح ورباعيته مكسورة وشفته العليا مشقوقة وركبتاه مجروحتان. وكانت الراية يومئذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو مثخن بالجراح. وخرج من المسلمين من به جرح واحد، ومن به أربعون جرحاً، ومن به بضع وسبعون جرحاً، وكان أمير المؤمنين عليه السلام به جراح كثيرة.

وكان المسلمون يشعلون النار في الليل، فهابتهم قريش ورجعت إلى مكة، وهذه الوقعة عرفت بحمراء الأسد[1].

تحليل عناصر النكسة

وفيما يلي نلقي نظرة على الآيات التي نزلت في هذه المعركة على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لكي نرى كيف يحلّل القرآن انتكاسة المسلمين في (أحُد)؟ وما هي النظرة العامة إلى الانتكاسات التي تصيب المسلمين؟

---

١. انظر: المغازي للواقدي، ج١، ص٣٣٤؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢، ص١٦٤؛ والمنتظم لابن الجوزي، ج٣، ص١٧٢.

ثم نستمع إليه مرة أخرى كيف يعالج الانتكاسة المُرّة التي لحقت بالمسلمين، ويحوّلها إلى نصر واستعلاء على الكافرين.

نحن نجد في سورتي النساء وآل عمران تحليلين لنكسة أحد:

أ- آية سورة النساء:

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[1].

هناك إحساسان في الساحة بعد المعركة: الإحساس الأول؛ الإحساس بآلام المعركة وجراحها التي أثخنتهم، والإحساس الآخر؛ رجاء رحمة الله والأمل في نصر الله تعالى وثوابه.

أما الإحساس الأول فهو إحساس مشترك بين طرفي المعركة، فقد أصاب القرح والألم هؤلاء وأولئك على نحو سواء.

والقروح هي القروح، وليس بين قرح وقرح فرق، فما أصاب المسلمين من آلام وقروح قد أصاب الكافرين بفارق من حيث الكم أو من غير فارق.. وأصابهم في بدر، كما أصابهم في أُحُد.

وأما الشعور الآخر، وهو الرجاء في الثواب في الآخرة والنصر في الدنيا، فينفرد به المسلمون، وليس للمشركين رجاء في الله تعالى أن ينصرهم في الدنيا أو يثيبهم في الآخرة.

إنهم لا يجدون في هذه المعركة غير قروح المعركة ونشوة كاذبة بالنصر سرعان ما تزول.

---

١. النساء: ١٠٤.

وللرجاء دور كبير في حياة الإنسان، فالمسلم يقاوم ألم الجراح وألم الهزيمة؛ لأنه يرجو من ربه أن يمده بالمعنويات والطاقات التي لا حدود لها، ويقابِل البلاء بالرجاء والرضى النفسي، بينما يقابل المشركون هذه الابتلاءات بصدور ضيقة ونفوس يائسة.

وبهذا الشعور النفسي المفعم بالرجاء استطاع المسلمون تجاوز المحنة؛ لأن الرجاء أمدّهم بالطاقة العالية لمواصلة المعركة.

وقد تابعوا المواجهة حتى انتهت بالنصر لهم في واقعة (حمراء الأسد).

ثم فيما بعد ذلك من غزوات وأحداث، تأكّدت وتعمّقت حالة النصر عند المسلمين.

وهذا هو الدرس الأول الذي نتلقاه من القرآن في هذه الانتكاسة التي أصابت المسلمين في أحد.

وهو درس حري بالاهتمام.

إن القيادة الراشدة والإدارة السليمة لساحة المعركة تتمكّن أن تحول الانتكاسات في حياة المسلمين إلى حالة الرجاء والأمل، والاستهانة بالآلام والعقبات.

ونقرأ الآن آيات آل عمران في هذه المعركة، وهي دروس تستحق الاهتمام والتأمل.

ب - آيات آل عمران:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2].

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[4].

ثمانية دروس في آية آل عمران

وهي آيات عجيبة تستوقف الإنسان، وتبعث على كثير من التأمل والتفكير، وفيها دروس عميقة في الثقافة القيادية والإدارية:

الدرس الأول

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

أول شيء نلاحظه في هذه الآيات هو هذا الاستعلاء على الضعف والوهن والحزن، والدعوة إلى تجاوز حالة الخوف والإحساس بالضعف، وتعميق الشعور باستعلاء المسلمين على الكافرين ما كانوا مؤمنين بالله، قد شدوا حبلهم بحبل الله، واستمدوا حولهم وقوتهم بالله، واطمأنت قلوبهم بالله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

١. آل عمران: ١٣٩.

٢. آل عمران: ١٤٠.

٣. آل عمران: ١٤١.

٤. آل عمران: ١٤٢.

ذلك التجاوز عن الوهن والخوف والحزن، وهذا الاستعلاء على الكافرين من حقائق الإيمان، يعرفها المؤمنون جيداً، وليس وهما، ولا من الإلقاءات والإيحاءات الوهمية.

وهذا هو الدرس الأول.

الدرس الثاني

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾

الاستخفاف بالقروح التي تصيبهم في المعركة، فإن هذه القروح تصيبهم وتصيب أعداءهم على حد سواء، والذي يدخل المعركة يجب أن يوطّن نفسه لمثلها. والتعبير بـ (المس)، ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ يوحي بالاستهانة بما يصيبهم من القروح، وسرعان ما تزول وتندمل، ويعقبه الثواب والرضوان من عند الله، وهي بعدُ من متطلبات كل معركة، ومن أي مدخل يدخل الإنسان المعركة؛ من مداخل الحق أو من مداخل الباطل.

وهذا هو الدرس الثاني.

الدرس الثالث

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

أعظم هذه الدروس جميعاً، وأعظم مما قرأناه سابقاً، إن هذا الدرس يعطينا رؤية كونية تاريخية شاملة لمسألة الانتصار والهزيمة والانتكاسة والنجاح.

إن الرؤية الموضعية القريبة للهزيمة والنكسة تصيب الإنسان بالوهن

والحـزن والخوف.

وأما الرؤيـة الكونيـة البعيـدة مـن خـلال سـنن الله تعالـى فـي التاريـخ والمجتمـع فتمنـح الإنسـان ثقـة وقـدرة علـى مواجهـة التحديـات وتجاوزهـا والاطمئنـان بالعاقبـة البعيـدة أو القريبـة مـن خـلال سـنن الله.

إن الـذي يقتطـع حـدث الانتكاسـة مـن أسـبابها وعواقبهـا وموضعهـا فـي التاريـخ يصيبـه الوهـن والضعـف والحـزن.

وأما الـذي يضـع (الانتكاسـة) فـي موضعهـا مـن التاريـخ ومـن تـداول الأيـام، وضمـن سـنن الله تعالـى، فـلا يصيبـه شـيء مـن ذلـك الوهـن والحـزن والخـوف، ويخـرج مـن المحنـة والانتكاسـة مطمئنـاً بـالله واثقـاً بنصـر الله، عامـلا لإنجـاز ما يريـده الله تعالـى مـن المؤمنيـن لتحقيـق النصـر، واثقـاً بوعـد الله تعالـى لهـم بالنصـر.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وليـس مـن الصحيـح أن يقتطـع الإنسـان المسـلم يـوم النكسـة مـن مـدار التاريـخ.

الدرس الرابع

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

دور هـذه الانتكاسـات فـي تصفيـة صفـوف المسـلمين مـن العناصـر المسـلمة الضعيفـة والمنافقـة التـي تدخـل فـي الجماعـة المسـلمة أيـام الـرفاه والعافيـة، وتتميـز عنهـم أيـام البأسـاء والضـراء.

وهـذا هـو التمحيـص الأفقـي داخـل المجتمـع، وهـو قولـه تعالـى: ﴿وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الدرس الخامس

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾

أن أمثال هذه الانتكاسات تبني الجماعة المؤمنة بناءً قوياً، وتجعل منهم أئمة، وسادة، وشهداء، وقيمين على وجه الأرض.. ولو كانت أيامهم كلّها تعمّها نشوة الفتوح والانتصارات، وأيام عافية ورخاء، لما تمكنوا أن يحلّوا في مواقع القيمومة والشهادة والإمامة على وجه الأرض.

إن الله تعالى إنما يتخذ منهم شهداء في مثل هذه الانتكاسات والأيام والظروف الصعبة.

الدرس السادس

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

دورة التمحيص العمودي التي تدخلها هذه الأمة في مثل هذه الانتكاسات.

وهو غير دورة التمحيص الأفقي التي تحدثنا عنها.

فكما أن في المجتمع قوي وضعيف وصالح وطالح ومؤمن ومنافق.. وهذه الانتكاسات تفرز المؤمن عن المنافق والأقوياء عن الضعفاء.. كذلك في نفوس المؤمنين نقاط قوة وضعف، يقين وريب، ثقة وشك، نزوع إلى التحدي والمواجهة وإيثار للعافية، حلم وغضب، عفو وانتقام.

ومثل هذه الانتكاسات تؤدي دوراً مؤثراً في تهذيب نفوس المؤمنين وعلاج نقاط الضعف، والريب، والهلع، والجزع، والخوف، والجبن،

والحرص، والحسد في نفوسهم، وتعمّق حالات اليقين، والثقة، والإيمان، والعزم، والحزم، والحسم في نفوسهم.. وهذا هو التمحيص العمودي داخل النفوس، وهو لا يكون إلاّ في أيام البأساء والضرّاء وهو قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الدرس السابع

﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

إن هذه الانتكاسات تصيب المؤمنين والكافرين على نحو سواء في (تداول الأيام)، ولا يمكن لأمة أن تسلم منها، مهما كانت؛ مؤمنة أم كافرة، ولكن بفارق نوعي كبير في العاقبة.

فإن هذه الانتكاسات للمؤمنين تمحيص وتهذيب وتشذيب في عرض الأمة العريض، وهو «**التمحيص الأفقي**»، وتمحيص في عمق شخصية المؤمنين «**التمحيص العمودي**»، ولكنها للكافرين محق وهلاك.

وشتان بين هذه العاقبة وتلك.

إن مخاض الولادة صعب، ونزع الموت صعب، ولكن شتان بين الصعبين.

وهذا هو قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾. للمؤمنين ولادة جديدة وبعث جديد، وللكافرين محق وسقوط.

الدرس الثامن

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾

أن أمثال هذه الانتكاسات هي السبيل إلى دخول الجنة، ولا يحسبنّ أحدٌ أن السبيل إلى الجنة سهل يسير.

فلن يدخل الجنة إلاّ المجاهدون الصابرون الذين يعرف عنهم الله تعالى الصدق في الجهاد والصبر في المواقف.. ولن يكون ذلك إلاّ في مثل هذه الانتكاسات.

إن أمة تتلقى الانتكاسات والهزائم في التاريخ في مثل هذا الإطار الثقافي الجميل حَريّة أن لا يصيبها الوهن والحزن والخوف في مسيرتها التاريخية في نشر دعوة الله وتقرير دين الله على وجه الأرض، وتعبيد الناس لله تعالى، وتحكيم شريعة الله على وجه الأرض.

دروس أخرى من معركة أحد

وفي نهاية الحديث عن واقعة أُحُد وما خلفت وراءها من تداعيات، لابد من استلهام طائفة أخرى من الدروس في الثقافة القيادية والإدارية في الإسلام.

الدرس الأول

استجابة الرسول ﷺ لرأي المسلمين في هذه المعركة، فقد خرج من المدينة كارهاً متخوفاً من النتائج، ولكنه قبل رأي سعد بن معاذ وجماعة الأوس والمتحمسين من الشباب من أصحابه، وهذا جانب هام في القرار القيادي، يتضمن إشراك الناس واحترام آرائهم وأفكارهم.

ولو انفرد القائد بالقرار فإنه سيتحمل وحده نتائج القرار، فإذا أصاب الجماعة إخفاق وهزيمة فإنها ستلقي باللآئمة على القائد وحده.

وإنّ الاستئثار بالقرار سوف يطفئ جذوة الحماس عند الآخرين؛ لأنهم

لا يشعرون في أعماقهم بالانتماء النفسي للقرار.

وقد كان بإمكان النبي ﷺ مخالفة القوم ولا يخرج من المدينة، ولكن رسول الله ﷺ آثر رأي الجمهور من أصحابه من المتحمسين للخروج لقتال العدو على ما يراه من المصلحة.

الدرس الثاني

عدم رجوع النبي عن قراره حتى مع ظهور الكراهة على وجهه الكريم. وتراجع الصحابة عن إصرارهم بعد أن عرفوا الكراهة على وجه رسول الله ﷺ، وهذا يعني احترام القرار وعدم التراجع عنه أو التذبذب في القرار.

فقد ذكر أرباب السير أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا الكراهية على وجه رسول الله ﷺ تلاوموا فيما بينهم، وقالوا: إننا أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج من المدينة، ولا ينبغي ذلك، فأعلنوا لرسول الله ﷺ استجابتهم لرغبته، فلم يتراجع رسول الله ﷺ هذه المرة، وقال: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل**»[1].

هذا الإصرار على المضي في تنفيذ القرارات يولد الثقة في نفوس الناس بالقائد، ويدل على ثباته وحزمه، والتراجع عن القرار والتذبذب فيه يشيع روح التخاذل والتشكيك بقدرة القائد على الثبات والاستمرار في قراراته.

الدرس الثالث

العبقرية العسكرية للقائد والمتمثلة بأمر الرسول ﷺ بوقوف الرماة الخمسين على باب الشِّعب، حتى لا يأتي كمين المشركين من هنالك،

١. تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٤٣٤؛ وتاريخ الطبري، ج٢، ص٥٠٤.

فقد كان يعلم النبي ﷺ أهمية هذا الباب وخطورته في المعركة وأنّ تحصينه سيعجل بالنصر بالمسلمين، ومن هنا أكد على الرماة بالمحافظة على توازنهم والثبات في مكانهم حتى لو انتهت المعركة تماماً؛ بل حتى لو بلغت فلول المشركين مكة.

وبالفعل فإن الفراغ الذي خلّفه انسحاب الرماة عندما رأوا المسلمين ينتهبون أموال المشركين كان السبب في انقلاب نتيجة المعركة؛ حيث نزل خالد بن الوليد من موضع الكمين، وأحاط برسول الله ﷺ ومن معه من ورائهم، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة.

الدرس الرابع

خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسد لإرهاب المشركين، فلم يَدَع نكسة أحد تفوت دون تلافي وقعها وأصدائها في نفوس المسلمين.

فخرج المسلمون يومئذٍ لمواجهة عتاة قريش كالأسد الجريح الغاضب وقد هابهم المشركون وعادوا إلى مكة، ولم تُسقط انتكاسة أحُد هيبة المسلمين في نفوس المشركين.

الدرس الخامس

استغلال الجانب الإعلامي للحرب. وهذا الدرس يتجلى في تجنيد شخصية (معبد الخزاعي) وكان مشركاً، ولكنه على كفره كان يحب النبي ﷺ فأقبل إليه وهو يقول والله يا محمد؛ لقد عزّ علينا مصابك في قومك وأصحابك.. ولما عرف قصد النبي ﷺ وأنّ خروجه لم يكن إلاّ لإرهاب المشركين خرج من عند النبي ﷺ، ليتلقى أبا سفيان وصحبه يجبّنهم من قتال النب ﷺ..فانطلق إلى المشركين وخاطبهم قائلاً: إنّ محمداً قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون

عليكم تحرقاً، ويلتهبون غيظاً.. ولم يزل يجبّنهم بكلماته وأشعاره ويخوفهم من رسول الله ﷺ وجيشه إلى أن ثبطهم عن عزمهم على العودة، وملأ قلوبهم الرعب[1].

وهذه هي الحرب النفسية التي لم تلتفت إليها القيادات العسكرية إلاّ مؤخراً، فصارت جزءاً أساسياً في كسب المعركة.

لقد استطاع رسول الله ﷺ بهذه القيادة الفريدة أن يعالج سريعاً الآثار النفسية التي خلفتها نكسة أحد، وأن يمتص الشعور بالهزيمة من نفوس المسلمين، وذلك من خلال تعليمات القرآن بالرجاء بالله، والنظرة الكونية الشاملة إلى مسألة النصر والهزيمة، والمواقف القيادية الحكيمة والمبادرات القيادية.

وقد استلهم المسلمون هذه الدروس، وتجاوزوا الإحساس بالهزيمة في العودة إلى مواجهة المشركين في حمراء الأسد، ونكوص المشركين عنهم.

وحوّل القرآن هذه الهزيمة إلى نصر، ليس في المستقبل البعيد أو بعد شهور وسنين، وإنما أشعرهم القرآن بالنصر والجروح ما تزال عالقة نازفة على أجسادهم؛ أي بعد يوم واحد من نكسة أحُد، وبتلك التعبئة النفسية استجمع المسلمون قواهم، وأدركوا أنّ الفرصة ما تزال سانحة أمامهم.

فأي قيادة تستطيع ذلك وبهذا الزمن القياسي؟!

إنها قيادة القرآن التي تشحن الهمم وتجدد الطاقات، وتوحّد المشاعر،

---

١. سيرة ابن هشام، ج٢، ص١٠٢.

وتجمع النفوس المهزومة؛ لكي تتوثب وتستعيد موقعها الحقيقي.

وبالفعل فقد انهزم المشركون وهربوا إلى مكة، وعاد المسلمون إلى المدينة متوَّجين بهذا الانتصار السريع، ومستفيدين من الدرس القاسي الذي تعلموه في ساحة المعركة، وفي مدرسة القرآن التي كشفت لهم أسرار النصر وقوانينه التي هي سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل.

الفصل الرابع: الثقافة الإدارية والقيادية في حديث أهل البيت عليهم السلام

فيما يلي نستعرض إن شاء الله طائفة من رسائل أهل البيت عليهم السلام، وهي كثيرة، في الثقافة القيادية والإدارية.

وقد انتقينا منها ثلاث رسائل، وهي:

أولاً: رسالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه لما ولاّه مصر.

ثانياً: رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر عندما ولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله، وفيها يوصيه الإمام عليه السلام بالتعامل مع الناس بالرفق والعدل، وهذه الرسالة من كنوز الثقافة القيادية والإدارية في التراث الإسلامي.

ثالثاً: رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي رحمه الله حاكم الأهواز.

وفيما يلي نقتصر على هذه النصوص الثلاثة بتعليقات وتأملات موجزة بقدر ما يتحمله المقام.

أولاً: كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر عندما ولاّه مصر

١. يقول عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله، عندما ولاّه مصر: «**فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ**»[1].

هذه الكلمات مواعظ أخلاقية رفيعة، وفي نفس الوقت تبين الأصول العامة للثقافة الإدارية للمجتمع والحياة العامة.

يأمر الإمام عليه السلام هنا محمداً رحمه الله أن يلين جانبه للناس، ويبسط لهم وجهه، فلا يجد الناس فيه استعلاء المستكبرين وانقباض وجه المتغطرسين.

ينبغي للحاكم أن يبسط سلطانه على القلوب، حتى تخفق له حباً وعشقاً؛ من خلال اللين في الكلام، والابتسامة التي تشيع السرور في النفوس التي تمد أبصارها إلى القائد وتنتظر منه بسط الوجه والرضى والمحبة الدائمة.

«**وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ**».

ثم ينتقل الإمام إلى المساواة في النظر بين الأشخاص، فيقول: إذا تحدثت إلى رعيتك، فليكن نظرك موزعاً بينهم بالسوية، فلا تجعله

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٢٧، من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلّده مصر، ص٣٢٨.

موجهاً إلى فئة معينة أو شخص واحد وتهمل الآخرين، ولا تحابي بعض الناس في نظراتك دون بعض.

وقد يسأل أحد: ما قيمة النظرة حتى يؤكد عليها الإمام ويأمرنا بالمساواة فيها.

يقول الإمام عليه السلام: «**حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ**».

فإذا ساوى بنظره بين الناس أشعر الناس أنه يساوي في اهتمامه ورعايته للناس، فلا يطمع فيه أصحاب المطامع.

وفي الجانب الآخر لا ييأس الضعفاء من عدله؛ بل يبقى الأمل في نفوسهم أن يشملهم باهتمامه، ويحوطهم برعايته، فيذكُرهم إذا غابوا، ويتفقد أحوالهم ويعينهم على بلوى الفقر ومتاعب الحياة.

٢. ثم يقول عليه السلام: «**وَلَا تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ**»(١).

يأمر الإمامُ واليَ مصر أن يتخذ من الله ولياً وناصراً عوضاً عما في أيدي الأقوياء والمستأثرين الذين يرون بأنهم إذا تخلوا عن القائد وغابوا عن مجلسه فسوف يضعف. ثم يقول له لا تسخط الله برضى الأغنياء والأقوياء، فإن قوتهم إلى زوال، وارتبط بالقوة الإلهية المطلقة المهيمنة على الكون من أوله إلى آخره.

ثم يقول له: «**فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ**».

---

١. المصدر نفسه، ص٣٢٩.

تذكرنا هذه الكلمة بدعاء الإمام الحسين عليه السلام: «**مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَ**»[1].

إذا انفضّ الأغنياء من حول الحاكم، فإن الله عز وجل يخلفه بقوته وتوفيقه وتسديده، ولكن ليس عن الله بديل ولا عوض، إذا أعرض عن عبده وأوكله إلى نفسه. إذا هجرته الرحمة الإلهية، وتخلى الله عنه وأوكله إلى قوته وحاشيته وحراسه، فإنه لا بديل لقوته المطلقة. فإذا التفت الحاكم إلى هذه المعاني فلا يستوحش لتفرق الناس عنه.

٣. ثم يقول عليه السلام لحاكم مصر: «**صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ**»[2].

لا ينبغي للقائد أن يؤخر الصلاة التي تعبر عن عمق العلاقة مع الله - عن وقتها بحجة الهموم الإدارية مهما بلغت في خطورتها الاجتماعية[3].

إنه التنظيم الدقيق لوقت الحاكم بين الإدارة وبين الالتفات إلى ذاته وعبادته ومراقبته علاقتَه بالله حتى لا تستغرقه مسؤولياته الاجتماعية، فيهمل أمر الصلاة؛ لأنه يستمد من عبادته القوة في إدارته وعمله، فهي تجدد طاقاته النفسية، وتعيد الهدوء إلى أعصابه، فيتخذ القرار وهو هادئ النفس، فإن هموم العمل تفقد الإنسان التوازن والاتّزان والحزم والحسم في القرار، فيحتاج إلى محطة عبادية وخلوة مع الله بعيداً عن

١. ابن طاوس، إقبال الأعمال، ص٣٤٩.

٢. نهج البلاغة، مصدر سابق، ص٣٣٠.

٣. رحم الله الشهيد رجائي - أحد رؤساء الجمهورية الإسلامية السابقين أوائل انتصار الثورة الإسلامية - كان يقول: إذا حلّ وقت الصلاة فلا تقل للصلاة لدي عمل يشغلني عنك، ولكن قل للعمل هذا وقت الصلاة.

ضجيج الناس يجدد فيها الاتصال بالله.

وبذلك يستعيد قواه ونشاطه وحيويته، فإن «**كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ**».

وفي دعاء كميل: «**حَتّى تَكُونَ أَعْمالي وَأَوْرادي كُلُّها وِرْداً واحِداً**».

وما أجمل؛ أن تكون حياة القادة تبعاً للصلاة، وتعبيراً للعبودية لله تعالى، وتطبيقاً لمفاهيم الاستعانة والتوكل والثقة بالله!

ثانياً: كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر عندما ولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله

وهذا دستور آخر للثقافة الإدارية يتحفنا به أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عهده إلى مالك الأشتر، حينما ولاّه مصر.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جِبْوَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا**»[1].

يحدّد الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر مسؤوليات الحكومة في ثلاث نقاط:

١. الأمن
٢. المصالح العامة (الخدمات)
٣. الإعمار.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٦٦.

والمسؤولية الأولى هي الأمن من أعداء الداخل والخارج، وما لم يتهيأ للأمة الأمن لا يستطيع الحاكم أن يقدم للناس الخدمات الأخرى.

ثم الخدمات والمصالح الاقتصادية والصحية والتعليمية والمعاشية، وما يشبه ذلك.

ثم الخدمات العمرانية، والبلدية، والطرق، والري، والمنشآت الصناعية، واستصلاح الأراضي، والاتصالات وغير ذلك.

وهذه المهام الثلاث تحتاج إلى جباية الأموال التي تقوّم هذه المشاريع الثلاثة.

والإمام عليه السلام يشرح هذه النقطة في هذه الفقرة من عهده إلى مالك الأشتر بقوله: «**جِبْوَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا**».

نظام العلاقات الثلاث في ولاية الحاكم

ثم يبين الإمام عليه السلام لمالك الأشتر نظام العلاقات الثلاث في حياة الحاكم، وهي:

١. العلاقة بالله تعالى.
٢. العلاقة بالنفس.
٣. العلاقة بالناس.

ويشرح الإمام هذه العلاقات الثلاث واحدة بعد أخرى.

١- في العلاقة بالله

يحدد الإمام العلاقة بالله تعالى بالطاعة لله، وتقوى الله، واتباع أوامر

الله تعالى ونواهيه، وأن ينصر دين الله حتى ينصره الله.

يقول عليه السلام في عهده: «**أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ**»[1].

ثم يقول له: «**إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ**»[2].

٢- في العلاقة بنفسه

وهذه العلاقة تمكّن الإنسان من العلاقة الأولى والعلاقة الثالثة، ولا تستقيم هذه ولا تلك إلّا إذا تمكّن الإنسان من العلاقة بنفسه.

ويعطي الامام، في عهده لمالك هذه العلاقة قدراً كبيراً من الأهمية فيأمره أن يملك هواه، ولا يأذن لهواه أن يملكه.

وليس بين هذا المِلك وذلك أمر ثالث، فإذا ملك الإنسان هواه لم يملكه هواه، وإذا ملكه هواه لا يملك هواه، ولا ثالث. فإما أن يتمكن الإنسان من أهوائه ويفرض عليها سلطان إرادته أو يخضع لسلطانها.

يقول عليه السلام: «**فَامْلِكْ هَوَاكَ**»[3].

ثم يأمره عليه السلام أن يشُحَّ بنفسه عما لا يحلّ له، ويكون ضنيناً بنفسه، ولا يعطي نفسه للفتن بلا حساب ولا حدود.. فإن قيمة العاقل بقدر ما يشُحَّ

١. المصدر نفسه، ص٣٦٦ - ٣٦٧.
٢. المصدر نفسه، ص٣٦٨.
٣. المصدر نفسه، ص٣٦٧.

بنفسه من الفتن، وما يعطي منها لله.

ومن إنصاف الإنسان لنفسه أن يشُحَّ بها في الفتن، ومن سوء الإنصاف أن يُبذّر الإنسان بنفسه فيها.

فليس شيء أعزّ على الإنسان من نفسه - إلاّ الله ورسوله - فلابد أن يكون شحيحاً بها.

يقول عليه السلام: «**وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ**»[1].

ثم يأمره عليه السلام أن يكف جمحات نفسه وثورة أهوائه وشهواته..

يقول عليه السلام: «**وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ**».

النفس البشرية جموحة ثائرة هائجة، فإذا لم يكسر صاحبها جموحها، ولم يتمكن من هياجها ويسيطر عليها تملكه، وتقوده إلى الهلاك، وما لم يتمكن الإنسان من أهوائه وشهواته لا يصحّ أن يتولى أمراً من أمور المسلمين.

فمن لا يملك أمر نفسه لا يصلح أن يملك من أمور المسلمين شيئاً.. وهذا هو معنى العدالة في الولاية.

٣- العلاقة بالناس

يطول كلام الإمام عليه السلام في عهده إلى مالك في العلاقة مع الناس، وهو القسم الثالث من العلاقات الثلاثة، ويعطي هذا الشطر مساحة واسعة

---

١. المصدر نفسه.

مـن عهـده إلـى مالـك.

ولا يسـعنا أن نتحـدث فـي هـذا الشـطر مـن كلام الإمام بالتفصيـل فـي هـذه الخلاصـة؛ رغـم أن هـذا الشـطر مـن كلام الإمام عليه السلام فـي تعامـل الحاكـم مـع الرعيـة هـو موضـوع هـذه الرسـالة.

التعريف بالناس

وأول شـيء يلفـت نظرنـا فـي كلام الإمام عليه السلام فـي التعريـف بالنـاس هـو قولـه عليه السلام: «**وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ؛ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**»[1].

وهـو أجمـل تعريـف للجمهـور الـذي يتعامـل معـه الحاكـم وأرحبـه.. إن هـؤلاء النـاس لا يخلـو أمرهـم مـن (الأخـوة فـي الديـن أو المناظـرة فـي الخلق)، وكلاهـما يقتضـي مـن الحاكـم الرأفـة والرحمـة.. ولا يصـحّ أن يقسـو الإنسـان علـى أخ لـه فـي الديـن تربطـه بـه وشـيجة الأخـوة فـي ديـن الله ورابطـة الـولاء، ولا يصـحّ أن يقسـو الإنسـان علـى نظيـر لـه فـي الخلـق، يحـب ما يحـب ويكـره ما يكـره، ما لـم يصـدر منـه ذنـب يسـتحق منـه هـذه القسـوة.. فكـما لا يحـب الحاكـم أن يقسـو عليـه أحـد، ويحـب لنفسـه التكريـم والرحمـة، كذلـك نظـراؤه فـي الخلـق.

طبائع الناس

ثـم يبيـن الإمام عليه السلام طبائـع النـاس، فـإن الزلـل والـزلات شـيء مغـروس فـي طبائـع النـاس، ما لـم يهـذّب الإنسـان نفسـه، ويمتلـك أزمّتهـا بشـكل كامـل.. وهـو أمـر نـادر فـي حيـاة النـاس.

---

١. المصدر نفسه.

إذًا؛ لا يصح أن يتخذ الحاكم أمر الزلل والزلات في حياة الناس حجّة لاضطهادهم وعقوبتهم والتشديد عليهم.. والزلل والزلات غير الإصرار على الإثم والذنب وارتكاب الجرائم والموبقات.. وما يجوز ويجب في الجرائم والموبقات لا يجوز في الزلات والزلل.

فلنستمع إليه عليه السلام وهو يصف طبائع الناس الذين يتعامل معهم الحكام؛ حيث يُكمل عليه السلام كلامه السابق بقوله: «**فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ؛ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَتُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَاءِ**»[1].

هؤلاء هم الناس تصدر منهم الأخطاء والزلات؛ في العمد والخطأ، ويسبق منهم الزلل من غير قصد، وتعرض لهم العلل التي تسوقهم إلى الانفعال والغضب والزلات والأخطاء.. فيجب أن يتعامل معهم الحاكم بالرفق والعفو دون العنف، من دون ضعف، وفي غير الجرائم التي لابد للحاكم فيها من التشديد والتعنيف.

التعامل من موقع الرحمة

والتعريف المتقدم للناس، والإيضاح المتقدم لطبائع الناس، يتطلب الرحمة بالناس والعطف والتحنن عليهم.

لذلك يقول عليه السلام في ذلك العهد لمالك: «**وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً**»[2].

والقائد الذي يمنح رعيته الحب والعاطفة، يكسب بالمقابل حبهم وثقتهم وعاطفتهم.

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

رحم الله الإمام الخميني رحمه الله أحب الناس وأحبه الناس، وبادلوه الحب بالحب، وهو مثال نادر جداً في الزعماء السياسيين في عصرنا.

التعامل من موقع العفو والصفح

ثم يأمره عليه السلام أن يتعامل مع الناس بالعفو والصفح، فلا يشدد في محاسبتهم، ويعاملهم بالتسامح.

يقول عليه السلام: «**فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ**»[1].

فهم يحبون عفوك وصفحك، كما تحب العفو والصفح من الله، فإذا أعطيتهم من عفوك وصفحك ما يحبون أعطاك الله من عفوه وصفحه ما تحب وترضى.

فإنك فوقهم، وولي الأمر فوقك، والله تعالى فوق الجميع.

ثم يقول عليه السلام: «**وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ**»[2].

والتبجّح بالعقوبة من صفات الجبارين، والندم على العفو من وساوس الشيطان.

ثم يقول عليه السلام لمالك: «**وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً**»[3]، وهو درس هام في طريقة تعامل الحاكم مع رعيته ساعات الانفعال والغضب، فإن الاستسلام للحظات الانفعال والغضب ضعف، فلا يسرع

---

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه.

الحاكم إلى الحكم في لحظات الانفعال والغضب، (والبادرة: الغضب)، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً ومندوحة، (والمندوحة: المتسع والسبيل إلى التخلص).

ظلم العباد من محاربة الله تعالى

شر الظلم أن يظلم الإنسان نفسه أو يظلم عباد الله، وظلم العباد من ظلم النفس، فمن يظلم عباد الله يظلم نفسه أكثر مما يظلم الآخرين، والذي يظلم عباد الله يدخل في دائرة محاربة الله تعالى، فإن ظلم العباد من محاربة الله، ومن ينصب نفسه لحرب الله يخسر الحرب لا محالة، فلا يقوى على محاربة الله أحد من خلقه.

يقول عليه السلام: «**وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدَىْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ**»[1]، إنك لا تقوى على غضب الله ونقمته.

ولا تستغني عن عفوه ورحمته.. إذًا؛ فلا تعرّض نفسك لغضبه ونقمته، ولا تبتعد عن منازل عفوه ورحمته، وإذا شئت ذلك فلا تظلم عباد الله، لئلا تتعرض لغضب الله ونقمته، وأحْسِن إلى الناس لتكون عند عفوه ورحمته تعالى.

الله تعالى يخاصم من يظلم عباده

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده، وظلم العباد مخاصمة لله.. ومن كان الله تعالى خصمه خاب، وكان من الخاسرين.

يقول عليه السلام: «**وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ**

---

١. المصدر نفسه.

خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ»[1].

ولسنا نعرف كلاماً أبلغ وأقوى من هذا الكلام في استعظام ظلم العباد من ناحية الولاة والرعاة.

والنص عجيب يستوقف الإنسان!

إن العباد خلفاء الله في أرضه، والله يدافع عن عباده وخلفائه ويحبّهم، ويخاصم من يظلمهم. وهذه هي المعادلة الأولى.

ومن خاصمه الله أدحض الله حجته، ولا يقوى على محاججة الله في ظلمه لعباده. وهذه هي المعادلة الثانية.

وأعجب منهما وأبلغ المعادلة الثالثة: «**وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ.. كَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ**».

إن ظلم العباد بمعنى إعلان الحرب على الله.. وناهيك بذلك.

النهي عن الاستعلاء على الناس

وينهاه عليه السلام من أن يستعلي على الناس، ويستغل موقعه في الأمر والحكم في إذلال الناس وتطويعهم لأوامره ونواهيه؛ كما يفعل الجبابرة من الحكام.

«**وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ - أي مسلط وحاكم عليكم - آمُرُ فَأُطَاعُ**»[2].

إن الطاعة لابد منها في نظام المجتمع، ومن دون الطاعة لا ينتظم المجتمع.. ولكن لا يلجأ الحاكم إلى توظيف موقعه في تطويعهم

---

١. المصدر نفسه، ص٣٦٨.

٢. المصدر نفسه.

لأحكامه إلاّ في حالات الضرورة.. وفي غير ذلك يحفظ الحاكم نظام المجتمع بالتثقيف والتوجيه، وليس فقط بالإلزام والتشديد والعنف؛ كما يفعل الجبابرة.

فإن أسلوب العنف والتشديد في التعامل مع الناس من قبل الحاكم يؤدي إلى إفساد قلوب الحكام أولاً، فإن القلوب تفسد بالتشديد والتعنيف والاستعلاء على الناس، وإلى إضعاف الدين في حياة الناس ثانيا، فإن الحالة السوية في الدين، أن يحكم الحاكم الناس من غير إكراه وتعنيف، وإذا اضطر الحاكم إلى الإكراه والتعنيف كان ذلك بسبب عجزه في الإدارة والحكم، وليس لحاجة الدين إلى التشديد والعنف، فإن الله تعالى قد جعل الدين على منهج معتدل من الفطرة لا يُخْوِجُ الحاكم إلى استعمال الشدة والعنف إلاّ في حالات استثنائية.

وإذا أكثر الحاكم من اضطهاد الناس والتشديد عليهم أدّى ذلك إلى إضعاف دور الدين وإنهاكه في المجتمع وفي نفوس الناس.. وهذا هو الأثر الثاني في التشديد والعنف.

والأثر الثالث؛ أن تراكم العنف والشدة والاضطهاد في الحكم يؤدي إلى سقوط الحاكم والنظام، وثورة الناس على الحاكم؛ حيث لابد أن ينفذ صبر الناس وتحملهم في وقت قريب، فيثور الناس على الحاكم، فلا يستطيع عندئذٍ أن يقاوم غضب الناس وسخطهم.

ولنستمع إلى الإمام عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر: «**وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ - حالات الغضب والانفعال - وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً - استطعت أن تتفاداها بالحلم والتغاضي وسعة الصدر - وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ - مسلّط عليكم - آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ - أي التبجّح بالسلطان والشدة في العمل - إِدْغَالٌ - إفساد - فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ - ضعف للدين -**

وَتَقَـرُّبٌ مِـنَ الْغِيَـرِ»[1].

والغِيَـرْ: تقلّـب الأحـداث السياسـية بصـورة مفاجئـة. فـإن هـذا الإفسـاد والتبجّـح سـرعان ما يثيـر غضـب النـاس ويهيّجهـم، فـلا يسـتطيع الحاكـم أن يقـاوم غضـب النـاس، فيسـقط.

عندما تتعارض العلاقات الثلاث

هـذه العـلاقات الثـلاث، حقـوق.. علـى عُهـدة الحاكـم أن يفـي بهـا: حـق الله تعالـى عليـه، وحـق نفسـه عليـه، وحـق النـاس.. وكلٌّ منهـا حـق. ولابـد أن يعطـي لله تعالـى حقـه، ولنفسـه حقهـا، وللنـاس حقوقهـم.

ولابـد أن يـوازن بيـن هـذه الحقـوق والعـلاقات، لئـلّا يجـوز ويتجـاوز بعضها علـى بعض.

والتجـاوز الـذي يحصـل عادة فـي هـذه الحقـوق الثلاثـة يحصـل عادة مـن ناحيـة إيثـار جانـب النفـس علـى حقـوق الله وحقـوق عبـاده.

وعنـدما نقـول: «**إيثـار جانـب النفـس علـى حقـوق الله وحقـوق عبـاده**» نقصـد بالنفـس معنـى أوسـع مـن (الأنـا)؛ يشـمل خاصـة الإنسـان وأهلـه، والقريبيـن إليـه، ومـن لـه فيـه هـوى؛ مـن بطانتـه والمتقربيـن إليـه، وهـؤلاء جميعـاً امتـداد للنفـس و(الأنـا) بشـكل أو بآخـر، فيأخـذ الحاكـم جانبهـم، ويؤثـر جانبهـم علـى جانـب حقـوق الله عليـه وحقـوق عبـاده.. وهـذا هـو ابتـلاء أغلـب الحـكام والـولاة.

فيأمـره الإمام عليه السلام أن ينصـف الله تعالـى، وينصـف النـاس مـن نفسـه؛ يعنـي يعطـي لله تعالـى حقـه وللنـاس حقوقهـم التـي جـار بهـا عليهـم لصالحـه

---

١. المصدر نفسه.

ولصالح من يميل إليه، وينصف الله، وينصف الناس من نفسه.

يقول عليه السلام في نفس العهد: «**أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ**»[1].. إنذار وتهويل.

وهذه الكلمة ذات وقع عجيب في نفس الإنسان «**فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ**».

والظلم هو التجاوز على حقوق الآخرين لصالح نفسه، ولصالح من له هوى فيه، ومن الظلم أن يتجاوز الإنسان على حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وإن لم ينصف الله من نفسه، وينصف الناس من نفسه، فهو يدخل في عداد الظالمين، والظالمون في النار.

العامة والخاصة

العامة والخاصة[2] تعبير عن تقسيم طبقي في المجتمع، يقوم على أسس غير شرعية من الثراء والسلطان.

وأما إذا كان مصدر الثراء والسلطان شرعياً، فلن يكون الاختلاف الطبقي داخلاً في هذا التقسيم، ولن يكون موضوع هذا البحث. غير أن الثراء المشروع، والسلطان المشروع، لن يؤدي في الغالب إلى الفواصل الطبقية الكبيرة إلاّ في حالات استثنائية ونادرة، وكلما وجدنا مجتمعاً طبقياً تنفصل طبقاته بعضها عن بعض بفواصل كبيرة؛ كالذي نراه في

---

١. المصدر نفسه.

٢. في الاصطلاح السياسي والاجتماعي. لأن هذين الاصطلاحين قد يطلقان ويراد بهما معنى آخر؛ كما عند الفقهاء، حيث يُقصد من العامة: المخالفون وهم أهل السّنة والجماعة، ومن الخاصة: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. (من المحقِّق).

المجتمعات الرأسمالية في الغرب، فلابد أن يكون هذا الاختلاف الطبقي الكبير حاصلاً من أوضاع غير شرعية في تحصيل المال أو السلطان.

ومهما يكن من أمر: فإن (العامّة) في هذا التقسيم، هي المساحة الاجتماعية العريضة المحرومة، والخاصة هي الطبقة الاجتماعية المحدودة المرفهة من حيث الثراء، والقوية من حيث السلطان والقوة.

والطبقتان الاجتماعيتان (العامة والخاصة) في هذه المجتمعات (القائمة على الثراء والسلطة غير المشروعة) متقاطعتان، ونقصد بالتقاطع: أنّ ثراء وسلطان الخاصة يتمّ على حساب العامّة، وتتمدد الخاصة في ثرائها وسلطانها على مساحة حقوق العامة في المال والسلطان.

ومعنى ذلك: أن الخاصة في مثل هذه المجتمعات تعتدي على حقوق العامة في المال والسلطان، وتستأثر بها دون العامة من غير حق؛ كما يحصل ذلك في المجتمعات الرأسمالية الغربية القائمة على العدوان الطبقي.

وهذا هو الذي يقصده أمير المؤمنين عليه السلام في كلمته المعروفة: «**مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِيٌّ**»[1].

وهذه المعادلة تصح من الطرفين: ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غني، وما تمتع الأغنياء إلاّ بما جاع به الفقراء.

وذلك لأن هذا الثراء والسلطان قد حصل من مصادر غير مشروعة للمال والسلطان.. وكل ثراء وسلطان غير مشروع يتم لا محالة بالعدوان

١. نهج البلاغة، الكلمة: ٣٢٠، من قصار الكلمات، ص٤٧٤.

على حقوق العامّة في المال والسلطان.

ويقول عليه السلام - أيضا في هذا السياق -: «**ما رَأيْتُ نِعْمَةً موفورةً، إلّا وبجانبِها حقٌّ مُضَيَّع**»[1].

ولاشك أن الإمام عليه السلام يقصد بـ (النعمة الموفورة) الثراء غير المشروع. ولانشك أن الفواصل الطبقية الكبيرة، لا يمكن أن تحصل غالباً من مصادر شرعية في الإثراء والسلطان.

وبناء على ذلك يقول الإمام عليه السلام: إلى جانب كل إثراء غير مشروع حق مضيّع للناس، وهي معادلة ثابتة.

وعندئذٍ نتساءل كيف يتعامل الحاكم مع هاتين الطبقتين، في المجتمعات التي تتواجد فيها هاتان الطبقتان.

فإن هاتين الطبقتين متقاطعتان، لا يمكن أن يجمعهما الحاكم في الرضى، بسبب التقاطع القائم بينهما، ولأن الخاصة تمتد على مساحة حقوق العامة، فإذا أرضى العامة يسخط الخاصة، وإذا أرضى الخاصة يسخط العامة، ولا يمكن أن يكسب الحاكم رضاهما جميعاً، إلاّ إذا زالت عنهما حالة التقاطع والتمادي، وامتداد إحداهما على حقوق الأخرى.

وعندئذٍ؛ فلابد أن يكسب الحاكم أجمعَ مساحة للرضى (أوسع مساحة للرضى) داخل المجتمع؛ حيث لا يمكن أن يعمم كل الساحة بالرضى.

والمساحة الأوسع في المجتمع التي يجب أن يرضيها بالعدل والحق

١. لم نعثر على متن الحديث في المصادر الروائية، لكن نقله السيد محمد تقي المدرسي في كتابه (من هدى القرآن) بلفظ: (ما رأيت نعمة موفورة إلاّ وإلى جانبها حق مضيّع)، ولم يذكر مصدره هناك. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ج١٤، ص٥١. (من المحقق).

– وإن أسخط الأخرى – هي مساحة العامة من الناس (الجمهور).

يقول الإمام عليه السلام: إذا تعذر على الحاكم تعميم الاسترضاء على الجميع، وكان لابد من تقديم إحداهما على الأخرى.. يتعين على الحاكم أن يُقدّم رضى العامة على الخاصة، شريطة أن يكون ذلك ضمن قواعد الحق والعدل، فإنّ رضى العامة يجبر الخلل الحاصل من سُخط الخاصة، وسُخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة، وليس العكس؛ فلا يجبر رضى الخاصة سُخط العامة، ولا ينفع الحاكم رضى الخاصة إذا سخطت العامة.

فاستمع إليه عليه السلام يقول: «**وَلْيَكُنْ أَحَبُ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ - أي يُزيل ويُذهب - بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ**»[1].

وهو كلام وتحليل دقيق؛ حيث لا يتمكن الحاكم أن يجمع رضى العامة والخاصة، فلابد أن يقدّم العامة على الخاصة؛ لأن «**سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ**»، ولكن بشرطين يذكرهما الإمام عليه السلام في نفس الفقرة، وهما إقامة الحق والعدل: «**وَلْيَكُنْ أَحَبُ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ**».

ثم يبين الإمام عليه السلام خصائص كل من الخاصة والعامة.

خصائص الخاصة

وأول ما يتحدث عنه الإمام في هذا العهد السمات البارزة في طبقة

١. نهج البلاغة، الخطبة: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٦٨.

الخاصة، فيقول عليه السلام: «**وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ**»[1].

وهذه سبع خصال رديئة في هذه الطبقة:

١. فهي ثقيلة على الولاة في مطالبها في أيام الرخاء.
٢. قليلة العون والنجدة لهم في ساعات الشدة والابتلاء.
٣. كثيرة الإجحاف قليلة الإنصاف.
٤. كثيرة الإلحاف والإصرار في المطالب.
٥. قليلة الشكر.
٦. بطيئة في الإعذار عند المنع.
٧. قليلة الصبر في الملمّات.

وهذه الخصائص والخصال التي يذكرها الإمام عليه السلام في هذا العهد تجعل هذه الطبقة طبقة اجتماعية تعيش على البطر، وقليلة الجدوى، وغير مقاومة، ولا تصلح لمواجهة التحديات، ولا تقف في الملمّات والشدائد مع الناس.

خصائص العامة

ثم يتحدث الإمام عليه السلام بعد ذلك عن قيمة العامة، فيقول عليه السلام: «**وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ**»[2].

وهذه ثلاث خصال:

---

١. المصدر نفسه.
٢. المصدر نفسه، ص٣٦٩.

١- هم عماد الدين، يتقوم به الدين في مواجهة التحديات التي تهدد سلامة الدين وبقاءه.

٢- وهم جمهور الأمة «**جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ**»، وهم السواد الأعظم من المسلمين، وعليهم تنزل الرحمة والبركة والنصر من عند الله.

٣- وهم العدة للأعداء.. التي تمتلك المقومات، وتختزن كل المقاومة التي تحتاجها الأمة في أيام البأساء والشدة.

إيثار العامة على الخاصة

والنتيجة التي يستنتجها الإمام عليه السلام من هذه المقارنة بين العامة والخاصة هي إيثار العامة على الخاصة بالعدل والحق، فهي قوام الدين، وجمهور الأمة، والعدة للمقاومة في أيام البأساء والشدة.

فيقول عليه السلام: «**فَلْيَكُنْ صَفْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ**».

ثالثاً: كتاب الإمام الصادق عليه السلام إلى عبد الله النجاشي

قصة الكتاب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام، فَإِذَا بِمَوْلًى لِعَبْدِ اللَّهِ النَّجَاشِيِّ قَدْ وَرَدَ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ وَأَوْصَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ، فَفَضَّهُ وَقَرَأَهُ وَإِذَا أَوَّلُ سَطْرٍ فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.. إِلَى أَنْ قَالَ إِنِّي بُلِيتُ بِوِلَايَةِ الْأَهْوَازِ، فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَنْ يَحُدَّ لِيَ حَدّاً أَوْ يُمَثِّلَ لِي مِثَالًا لِأَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ، وَيُلَخِّصَ لِي فِي كِتَابِهِ مَا يَرَى لِيَ الْعَمَلَ بِهِ، وَ فِيمَا أَبْتَذِلُهُ؟

وَأَيْنَ أَضَعُ زَكَاتِي؟ وَفِيمَنْ أَصْرِفُهَا؟ وَبِمَنْ آنَسُ؟ وَإِلَى مَنْ أَسْتَرِيحُ؟ وَ بِمَنْ أَثِقُ وَآمَنُ وَأَلْجَأُ إِلَيْهِ فِي سِرِّي؟ فَعَسَى أَنْ يُخَلِّصَنِي اللَّهُ بِهِدَايَتِكَ، فَإِنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ فِي بِلَادِهِ، لَا زَالَتْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَأَجَابَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَاطَكَ اللَّهُ بِصُنْعِهِ، وَلَطَفَ بِكَ بِمَنِّهِ، وَكَلَأَكَ بِرِعَايَتِهِ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَاءَنِي رَسُولُكَ بِكِتَابِكَ، فَقَرَأْتُهُ وَفَهِمْتُ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتَ وَسَأَلْتَهُ عَنْهُ، وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ بُلِيتَ بِوِلَايَةِ الْأَهْوَازِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ وَسَاءَنِي، وَسَأُخْبِرُكَ بِمَا سَاءَنِي مِنْ ذَلِكَ، وَمَا سَرَّنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَمَّا سُرُورِي بِوِلَايَتِكَ، فَقُلْتُ عَسَى أَنْ يُغِيثَ اللَّهُ بِكَ مَلْهُوفاً خَائِفاً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَيُعِزَّ بِكَ ذَلِيلَهُمْ، وَيَكْسُوَ بِكَ عَارِيَهُمْ، وَيُقَوِّيَ بِكَ ضَعِيفَهُمْ، وَيُطْفِئَ بِكَ نَارَ الْمُخَالِفِينَ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا الَّذِي سَاءَنِي مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَدْنَى مَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْثُرَ بِوَلِيٍّ لَنَا، فَلَا تَشَمَّ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، فَإِنِّي مُلَخِّصٌ لَكَ جَمِيعَ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ، إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهِ وَلَمْ تُجَاوِزْهُ. رَجَوْتُ أَنْ تَسْلَمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَخْبَرَنِي - يَا عَبْدَ اللَّهِ - أَبِي عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: مَنِ اسْتَشَارَهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنُ، فَلَمْ يَمْحَضْهُ النَّصِيحَةَ، سَلَبَهُ اللَّهُ لُبَّهُ. وَاعْلَمْ أَنِّي سَأُشِيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيٍ إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهِ تَخَلَّصْتَ مِمَّا أَنْتَ مُتَخَوِّفُهُ[1].

ثم يكتب إليه الإمام الصادق عليه السلام مجموعة من الدروس في هذا

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤٩ من أبواب ما يتكسب به، ج١٧، ص٢٠٧، ح١.

السـياق:

الدرس الأول

قولـه عليه السلام: «**فَأَمَّـا سُـرُورِي بِوِلَايَتِـكَ، فَقُلْـتُ عَسَـى أَنْ يُعِيـثَ اللَّهُ بِـكَ مَلْهُـوفاً خَائِفـاً مِـنْ آلِ مُحَمَّـدٍ صلى الله عليه وآله، وَيُعِـزَّ بِـكَ ذَلِيلَهُـمْ، وَيَكْسُـوَ بِـكَ عَارِيَهُـمْ، وَيُقَـوِّيَ بِـكَ ضَعِيفَهُـمْ، وَيُطْفِـئَ بِـكَ نَـارَ الْمُخَالِفِيـنَ عَنْهُـمْ**».

إن مواقـع المسـؤولية فـي أجهـزة الدولـة ذات حديـن؛ فقـد يتولاهـا أنـاس صالحـون، أصحـاب ديـن وورع وتقـوى، فيوظفـون هـذه المواقـع فـي خدمـة الصالحيـن الهاديـن المسـتضعفين مـن النـاس، ودفـع الأذى والسـوء عـن المضطهديـن مـن شـيعة آل محمـد صلى الله عليه وآله الذيـن كانـت السـلطات الظالمـة تلاحقهـم خلـف كل حجـر ومـدر. وقـد تكـون هـذه المواقـع بيـد أنـاس ظالميـن مسـتكبرين، يسـتضعفون المؤمنيـن الصالحيـن، ويزيـدون فـي عذابهـم وحرمانهـم، ويضيّقـون عليهـم كـما كانـوا يصنعـون فـي أيـام بنـي أميـة وبنـي العبـاس.

فـإذا تولـى هـذه المواقـع صالـح يخـدم النـاس، كان فـي ذلـك رضـى الله تعالـى ورسـوله وأوليائـه، وإذا كان خـلاف ذلـك كان فـي ذلـك عـذاب المؤمنين واضطهادهـم وظلـم الطبقـة الفقيـرة (العامـة) مـن النـاس.

ومواقـع المسـؤولية لا تبقـى فارغـة شـاغرة، فـإذا تولاهـا الصالحـون كانـت فـي خدمـة الصالحيـن وجمهـور النـاس، وإذا زهـد فيهـا الصالحـون تولاهـا غيـر الصالحيـن لا محالـة.

والنصـوص الـواردة فـي حظـر التعامـل مـع الظالميـن تخـص المـوارد التـي يكـون فيهـا دعـم لقيـادة الظالميـن؛ لا إسـناد ودعـم للمظلوميـن.

وقد استأذن علي بن يقطين الذي كان من خواص الإمام الكاظم عليه السلام - وكان قد احتل موقعاً سياسياً هاماً في حكومة هارون العباسي - استأذنه في ترك الموقع والانسحاب منه، فلم يأذن له الإمام عليه السلام، وقال: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَنَا بِكَ أُنْساً، وَلِإِخْوَانِكَ بِكَ عِزّاً، وَعَسَى أَنْ يَجْبُرَ اللَّهُ بِكَ كَسْراً، وَيَكْسِرَ بِكَ نَائِرَةَ الْمُخَالِفِينَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ.

يَا عَلِيُّ! كَفَّارَةُ أَعْمَالِكُمُ الْإِحْسَانُ إِلَى إِخْوَانِكُمْ؛ اضْمَنْ لِي وَاحِدَةً، وَأَضْمَنُ لَكَ ثَلَاثاً: اضْمَنْ لِي أَنْ لَا تَلْقَى أَحَداً مِنْ أَوْلِيَائِكَ إِلَّا قَضَيْتَ حَاجَتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ، وَأَضْمَنُ لَكَ أَنْ لَا يُظِلَّكَ سَقْفُ سِجْنٍ أَبَداً، وَلَا يَنَالَكَ حَدُّ سَيْفٍ أَبَداً، وَلَا يَدْخُلَ الْفَقْرُ بَيْتَكَ أَبَداً. يَا عَلِيُّ مَنْ سَرَّ مُؤْمِناً فَبِاللَّهِ بَدَأَ، وَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ثَنَّى، وَ بِنَا ثَلَّثَ[1].

الدرس الثاني

قوله عليه السلام: «**اعْلَمْ أَنَّ خَلَاصَكَ مِمَّا بِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَكَفِّ الْأَذَى عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالتَّأَنِّي، وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، مَعَ لِينٍ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَمُدَارَاةِ صَاحِبِكَ**»[2].

إن أكثر ما يخافه الصالحون الذين يبتليهم الله تعالى بمثل هذه المواقع أن يقعوا في دماء المسلمين في مواقع الغضب والقدرة، وهو أمر يفسد على الإنسان دنياه وآخرته بالكامل.

وفي هذا الكلام يبين الإمام سبيل الخلاص من هذه البلوى، وهو (العدل) و(التقوى والإحسان).

والعدل والتقوى هو كف الأذى عن أولياء الله.

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٧٩.

٢. الحر العاملي، مصدر سابق، ص٢٠٨.

والإحسان هو الرفق بالرعية وحسن المعاشرة مع لين، ولكن في غير ضعف .

ومن شأن العدل والتقوى والإحسان أن يمكّن صاحبه من أن يحفظ نفسه عن السقوط فيما حرّمه الله.

ولا يتوهم أحد أن اللين بمعنى الضعف، وأن الشدة بمعنى العنف.. وعلى المسؤول أن يتحلّى باللين، ولكن في غير ضعف، فإن اللين والحلم والصبر زينة المسلمين؛ ما لم يؤدّ به إلى الضعف، والشدة في مواضع الشدة هيبة الحاكم؛ ما لم تؤدّ به إلى العنف، «**وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ، مَعَ لِينٍ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ**».

ولا يتوهم أحد أنّ أخلاق الإدارة تعني الضعف؛ بل يكون ليناً إذا كان الموقف يستدعي العطف والرحمة، ويكون شديداً صارماً إذا تطلب الأمر ذلك، وهذه الشدة لا تعني العنف أبداً.

والإمام عليه السلام هنا يضع حداً واضحاً بين مفهوم (الشدة) ومفهوم (العنف)؛ فإن مفهوم الشدة يعني عدم التساهل مع الأخطاء والتقصيرات الخطيرة التي يحوّل تكرارها الحياة إلى فوضى، كما أن الإنسان المهمل إذا لم يجد الشدة التي تسبب له اليقظة والانتباه من غفلته، فإنه سوف يستغرق في إهماله، فتضيع المسؤولية المكلف بها.

الدرس الثالث

قوله عليه السلام: «**وَإِيَّاكَ وَالسُّعَاةَ وَأَهْلَ النَّمَائِمِ، فَلَا يَلْتَزِقَنَّ بِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يَرَاكَ اللَّهُ يَوْماً وَلَيْلَةً وَأَنْتَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفاً وَلَا عَدْلًا، فَيَسْخَطَ**

اللَّهُ عَلَيْكَ، وَبِهَتْكِ سِتْرَكَ»[1].

إن بطانة الحاكم يجب أن تكون بطانة صالحة، وعليه أن يحذر من بطانة السوء، فإن بطانة السوء يقرّبون إليه البعيد، ويبعدون منه القريب، ويُزيّنون الحق باطلاً والباطل حقاً، ويكرّهون إليه العدل والحق، ويحببون إليه الباطل والظلم.. والحاكم لا يملك في كثير من الأحوال إلاّ أن يأخذ أخبار ما يحيط به من البطانة التي تلتزق به، ولا يتمكن أن يمدّ قنوات الاستصلاح والأخبار إلى المجتمع مباشرة، إلاّ من خلال بطانته.. فإذا كانت البطانة بطانة سوء أفسدوا رأيه في الناس وفي المجتمع لا محالة.

ولما كانت البطانة للحاكم ضرورة، في أغلب الأحيان، فعليه أن يسعى كل جهده لتقريب الصالحين، وإبعاد الفاسدين المتملقين، أصحاب السعاية والوقيعة في الآخرين، من نفسه، حتى يسلم له رأيه ونظره فيما حوله من المسائل التي تهمه.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما ينصح به عامله الأشتر رضوان الله عليه: «**وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ**»[2]، «**ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ**»[3].

إن على الحاكم أن يختار بطانته اختياراً، ولا ينزلق إليهم انزلاقاً عاطفياً؛ كما يفعل الحكام الضعفاء الفاسدون.

---

١. المصدر نفسه.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٧٠.

٣. المصدر نفسه، ص٣٧٢.

الدرس الرابع

قوله عليه السلام: **«وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ دِرْهَماً أَوْ تَخْلَعَ ثَوْباً أَوْ تَحْمِلَ عَلَى دَابَّةٍ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ لِشَاعِرٍ أَوْ مُضْحِكٍ أَوْ مُمْتَزِحٍ إِلَّا أَعْطَيْتَ مِثْلَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ»**.

ثم يحذّر الإمام الصادق عليه السلام عبد الله النجاشي رحمه الله، والي الأهواز، من أن يتسلل إلى بطانته الشعراء والماجنون والمضحكون الذين يتقربون إلى الحكام بالمدح الكاذب من الشعر، وبالمجون والخلاعة والتملق والطرب والكذب والإطراء الكاذب.

وقد اتخذ الخلفاء في مختلف عصورهم هذه الطبقة ندماء لهم في مجالسهم، وكانوا يغدقون عليها العطاء بلا حدود، فكان الشاعر يتملق إلى الخليفة بقصيدة من الشعر والمديح الكاذب، فينال بذلك الأموال الطائلة من بيت مال المسلمين.

وكان لكبار المغنين منزلة رفيعة في الدولة كإبراهيم الموصلي..وكانت جوائزهم من الخلفاء تفوق الحصر. ذكروا عن إبراهيم المذكور أنه غنّى

للأميـن[1] بشـعر أبـي نـواس[2]:

١. هـو الخليفـة العباسـي السـادس؛ محمـد بـن هـارون. و يُكنـى: أبـو موسـى، و يقـال: أبـو عبـد الله. ولـد برصافـة بغـداد سـنة إحـدى وسـبعين ومائـة. أمـه أم جعفـر، واسـمها: زبيـدة بنـت جعفـر الأكبـر بـن المنصـور. كان الأميـن مسـرفا فـي اللهـو والإنفـاق، وشـاربا للخمـر ومحبـا للمجـون والغنـاء، يُذكـر أنـه لـما اسـتلم الأميـن الخلافـة، ابتـاع الخصيـان، وغالـى بهـم وصيّرهـم لخلوتـه، ورفـض النّسـاء و الجـواري، ووجّـه إلـى البلـدان فـي طلـب الملهيـن، وأجـرى لهـم الأرزاق، واقتنـى الوحـوش والسـباع والطيـور، واحتجـب عـن أهـل بيتـه وامرأتـه، ومحـق ما فـي بيـوت الأمـوال، وضيّـع الجواهـر والنفائـس، وبنـى عـدّة قصـور للهـو فـي أماكـن، وعمـل خمـس حـرّاقات علـى خِلقـة الأسـد والفيـل والعقـاب والحيّـة والفـرس، وأنفـق فـي عملهـا أمـوالا طائلـة. وكان إبراهيـم الموصلـي وأبـو نـواس مـن المقرّبيـن إليـه. يُـروى أنـه خـرج ذات ليلـة يطـوف فـي قصـره؛ إذ نظـر بعـض الجـواري التـي لـه تطـوف فـي القصـر وهـي سـكرى، وقـد سـقط الـرداء عـن منكبيهـا وانكشـف صدرهـا، فأعجـب بهـا الأميـن، فدعاهـا إلـى نفسـها، فقالـت: ذرنـي فإنـي طامـث، وواعدتـه أن تـزوره فـي غـد، فانصـرف محمـد الأميـن إلـى فراشـه ينقلـب جنبـا جنبـا، فلـما أصبـح أرسـل إليهـا، فقالـت: كلام الليـل يمحـوه النهـار. فقـال الأميـن: انظـروا مـن بالبـاب مـن الشـعراء! فقالـوا: الرقاشـي و مصعـب وأبـو نـواس، فقـال: أدخـل بهـم علـيَّ! قال لهـم: ليقـل كل واحـد منكـم بيتيـن مـن الشـعر علـى: «كلام الليـل يمحـوه النهـار»، فابتـدأ الرقاشـي ينشـد، ثـم مصعـب، ثـم أبـو نـواس، لكـن الشـعر الـذي قالـه أبـو نـواس وصـف فيـه ما حـدث للأميـن مـع الجاريـة وكأنـه كان ثالثهـما فـي تلـك الليلـة، فشـك بـه الأميـن، لكـن أبـا نـواس أنكـر ذلـك، وبـرّر ما قالـه بمـدى معرفتـه بالأميـن وما يريـد. (الذهبـي، تاريـخ الإسـلام، ج١٣، ص٦٥؛ وأحمـد بـن أعثـم الكوفـي، الفتـوح، ج٨، ص٤٠٢؛ والمنتظـم فـي تاريـخ الأمـم والملـوك، عبـد الرحمـن بـن الجـوزي، ج٩، ص٢١٨). (مـن المحقـق)

٢. هـو أبـو علـي؛ الحسـن بـن هانـئ بـن جنـاح بـن عبـد الله بـن الجـراح، الشـاعر المعـروف بأبـي نـواس، مـن أشـهر شـعراء عصـر الدولـة العباسـية. وُلـد فـي الأهـواز، وانتقـل إلـى البصـرة وتعلـم الأدب فيهـا. وقـد ذكـروا لـه أمـورا كثيـرة، ومجونـا وأشـعارا منكـرة، ولـه فـي الخمريـات والقـاذورات والتشـبب بالمـردان والنسـوان أشـياء بشـعة شـنيعة؛ فمـن النـاس مـن يفسّـقه ويرميـه بالفاحشـة، ومنهـم مـن يرميـه بالزندقـة؛ كالخليفـة محمـد الأميـن بـن الرشـيد، وعُـرف بشـاعر الخمـر، وذكـر بعضهـم أنـه تـاب . وكان يقـول الشـعر فـي مـدح بعـض الخلفـاء العباسـيين، وكان مـن المقربيـن إلـى الخليفـة العباسـي الأميـن. والمُلفـت أنـه كان محدّثـا روى عنـه بعـض علـماء أهـل السـنة والجماعـة فـي

رَشَــأٌ لَــولَا مَلَاحَتُــهُ خَلَــتِ الدُّنيَـا مِـنَ الفِتَـنِ[1]

فاستخفه الطرب حتى وثب من مجلسه وركب إبراهيم، وجعل يقبّل رأسه! فنهض إبراهيم وأخذ يقبل أخمص قدمي الأمين وما وطئتا من البساط فأمر له بمبلغ كبير من المال.

وكانوا يعقدون مجالس للأدب والشعر، ونوادٍ للطرب ومجالس لأخبار العرب وقصصهم في جاهليتهم، مما لا ينفع في دين ولا دنيا، فاختص بكل خليفة جماعة ممن عاصروه من أصحاب الأخبار والشعر مثل عبد الملك الأصمعي الذي لازم هارون العباسي، فكانوا يجالسونهم ويطلبونهم إذا أصابهم قلق أو أرق.

وإلى جانب هذه القصور الصاخبة بالمجون والفسوق والطرب والإسراف والإفساد كان يعيش الفقراء بهموهم وآلامهم وفقرهم. والخليفة يعيش مع الماجنين والساقطين المتملقين من الشعراء بمنأى عنهم، يمنح أموالهم التي خصهم الله تعالى بها من بيت المال هذه الطبقة الساقطة من المجتمع.

«وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ، مِنْ حُلْوٍ وَ لَا مِنْ فَضْلِ طَعَامٍ، تَصْرِفُهُ فِي بُطُونٍ خَالِيَةٍ، تُسَكِّنُ بِهَا غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى»[2].

إن تفقّد هذه الطبقة والاهتمام بحاجاتها والسؤال عنها وقضاء حاجاتها، مسكن لغضب الله تعالى، ومُنزل رحمته وفضله، وبخلاف ذلك يغضب الله تعالى على قوم يجفون هذه الطبقة البائسة المحرومة،

بعض طرقهم وأسانيدهم، ومنهم الشافعي وابن حنبل. (ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٧ فما بعد). (من المحقق)

١. من قصيدة لأبي نواس بعنوان (يا كَثيرَ النَّوحِ في الدِّمَنِ). (من المحقق)

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٧، ص٢٠٧.

ويقربـون إليهـم أصحـاب المجـون والخلاعـة والسـاقطين مـن الشـعراء المتملقيـن الذيـن يتبـارون فـي المديـح الـكاذب والمجـون، ومـدح الحـكام وأصحـاب الـمال والسـلطان.

الدرس الخامس

قولـه عليه السلام: «**وَقَـدْ وَجَّهْـتُ إِلَيْـكَ بِمَـكَارِمِ الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ عَـنِ الصَّـادِقِ الْمُصَـدَّقِ رَسُـولِ اللَّهِ ص، فَـإِنْ أَنْـتَ عَمِلْـتَ بِمَـا نَصَحْـتُ لَـكَ فِـي كِتَابِـي هَـذَا، ثُـمَّ كَانَـتْ عَلَيْـكَ مِـنَ الذُّنُـوبِ وَالْخَطَايَا كَمِثْـلِ أَوْزَانِ الْجِبَـالِ وَأَمْـوَاجِ الْبِحَـارِ، رَجَـوْتُ اللَّهَ أَنْ يَتَجَافَـى عَنْـكَ جَـلَّ وَعَـزَّ بِقُدْرَتِـه**»[1].

ثـم يشـرع الإمام الصـادق عليه السلام بذكـر مـكارم الأخـلاق فـي القيـادة والإدارة الصالحـة، فيقـول عليه السلام: «**يَـا عَبْـدَ اللَّهِ إِيَّـاكَ أَنْ تُخِيـفَ مُؤْمِنـاً، فَـإِنَّ أَبِـي مُحَمَّدَ بْـنَ عَلِـيٍّ حَدَّثَنِـي، عَـنْ أَبِيـهِ، عَـنْ جَـدِّهِ، عَلِـيِّ بْـنِ أَبِـي طَالِـبٍ عليه السلام، أَنَّـهُ كَانَ يَقُـولُ: مَـنْ نَظَـرَ إِلَـى مُؤْمِـنٍ نَظْـرَةً لِيُخِيفَـهُ بِهَـا أَخَافَـهُ اللَّهُ يَـوْمَ لَا ظِـلَّ إِلَّا ظِلُّـهُ، وَحَشَـرَهُ فِـي صُـورَةِ الـذَّرِّ لَحْمَـهُ وَجَسَـدَهُ وَجَمِيـعَ أَعْضَائِـهِ حَتَّـى يُـورِدَهُ مَـوْرِدَهُ.**

وَحَدَّثَنِـي أَبِـي، عَـنْ آبَائِـهِ، عَـنْ عَلِـيٍّ عليه السلام، عَـنِ النَّبِـيِّ صلى الله عليه وآله، قَـالَ: مَـنْ أَغَاثَ لَهْفَانـاً مِـنَ الْمُؤْمِنِيـنَ، أَغَاثَـهُ اللَّهُ يَـوْمَ لَا ظِـلَّ إِلَّا ظِلُّـهُ، وَآمَنَـهُ يَـوْمَ الْفَـزَعِ الْأَكْبَـرِ، وَآمَنَـهُ مِـنْ سُـوءِ الْمُنْقَلَـبِ. وَمَـنْ قَضَـى لِأَخِيـهِ الْمُؤْمِـنِ حَاجَـةً، قَضَـى اللَّهُ لَـهُ حَوَائِـجَ كَثِيـرَةً مِـنْ إِحْدَاهَـا الْجَنَّـةُ. وَمَـنْ كَسَـا أَخَـاهُ الْمُؤْمِـنَ مِـنْ عُـرْيٍ، كَسَـاهُ اللَّهُ مِـنْ سُـنْدُسِ الْجَنَّـةِ وَإِسْـتَبْرَقِهَا وَحَرِيرِهَـا، وَلَـمْ يَـزَلْ يَخُـوضُ فِـي رِضْـوَانِ اللَّهِ مَـا دَامَ عَلَـى الْمَكْسُـوِّ مِنْـهُ سِـلْكٌ وَمَـنْ أَطْعَـمَ أَخَـاهُ مِـنْ جُـوعٍ، أَطْعَمَـهُ اللَّهُ مِـنْ طَيِّبَـاتِ الْجَنَّـةِ، وَمَـنْ سَـقَاهُ مِـنْ ظَمَـإٍ، سَـقَاهُ

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٤٩ من أبواب ما يتكسب به، ج١٧، ص٢٠٩، ح١.

اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ رَيَّهُ. وَمَنْ أَخْدَمَ أَخَاهُ، أَخْدَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْوِلْدَانِ الْمُخَلَّدِينَ، وَأَسْكَنَهُ مَعَ أَوْلِيَائِهِ الطَّاهِرِينَ».

إلى أن يقول عليه السلام: **«يَا عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، أَنَّهُ قَالَ: أَدْنَى الْكُفْرِ أَنْ يَسْمَعَ الرَّجُلُ مِنْ أَخِيهِ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظَهَا عَلَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَحَهُ بِهَا»** ﴿أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ﴾.

يَا عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ، وَسَمِعَتْ أُذُنَاهُ مَا يَشِينُهُ وَيَهْدِمُ مُرُوءَتَهُ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

يَا عَبْدَ اللَّهِ وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: مَنْ رَوَى عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ رِوَايَةً يُرِيدُ بِهَا هَدْمَ مُرُوءَتِهِ وَثَلْبَهُ، أَوْبَقَهُ اللَّهُ بِخَطِيئَتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ بِمَخْرَجٍ مِمَّا قَالَ، وَلَنْ يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ مِنْهُ أَبَداً. وَمَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ سُرُوراً، فَقَدْ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ سُرُوراً، وَمَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ سُرُوراً، فَقَدْ أَدْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله سُرُوراً، وَمَنْ أَدْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله سُرُوراً، فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ، وَمَنْ سَرَّ اللَّهَ، فَحَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ جَنَّتَهُ.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، فَإِنَّهُ مَنِ اعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللَّهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُؤْثِرْ أَحَداً عَلَى رِضَاهُ وَهَوَاهُ، فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرَهَا، وَلَا يُعَظِّمُ سِوَاهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَمْ يُوَكَّلُوا بِشَيْءٍ أَعْظَمَ مِنَ التَّقْوَى، فَإِنَّهُ وَصِيَّتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً تُسْأَلُ عَنْهُ غَداً، فَافْعَلْ.

قَـالَ عَبْـدُ اللَّهِ بْـنُ سُـلَيْمَانَ: فَلَمَّـا وَصَـلَ كِتَـابُ الصَّـادِقِ ع إِلَـى النَّجَاشِـيِّ، نَظَـرَ فِيـهِ وَقَـالَ: صَـدَقَ وَاللَّهِ الَّـذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ مَـوْلَايَ، فَمَـا عَمِـلَ أَحَـدٌ بِمَـا فِـي هَـذَا الْكِتَـابِ إِلَّا نَجَـا. فَلَـمْ يَـزَلْ عَبْـدُ اللَّهِ يَعْمَـلُ بِـهِ أَيَّـامَ حَيَاتِـهِ)[1].

١. المصدر نفسه، ص٢٠٩ - ٢١٢.

الفصل الخامس: دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام

وفيما يلي نحاول، إن شاء الله، أن نستعرض طائفة من مفردات الخصال القيادية والإدارية في الثقافة الإدارية في الإسلام.

هذه المفردات مبثوثة في التعاليم الأخلاقية والعرفانية والإدارية والوعظية، في النصوص الإسلامية من الكتاب والسُنة، ونحن نحاول فيما يلي أن نستعرض طائفة من هذه المفردات من خلال النصوص الإسلامية.

١- ٢ القرار بين (التوكل والتفويض) و(الاستشارة)

هذان المفهومان، مفهومان حركيان، نابعان من التوحيد، ويمنحان الإنسان قدرة فائقة وكفاءة عالية على التحرك في ساحات الحياة العريضة.

وهما يسلبان الإنسان كل حالة للتردد والضعف والخوف في العمل.

فإن التوكل والتفويض يقومان على أساس حالة نفسية ثابتة

ومطمئنة للعبد، وهذه الحالة النفسية المطمئنة بالله تعالى تمنح الإنسان القدرة والقوة والمعنوية العالية في العمل.

وقد وعد الله تعالى عباده أن يكفي المتوكلين عليه؛ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]، و(حَسْبُهُ) يعني: يكفيه من كل شيء، فإن الله يكفي من كل شيء، ولا يكفي عنه شيء.

وكفاية الله تعالى لعبده سُنة مشروطة من سُنن الله، وهذا الشرط هو التوكل على الله، فمن يتوكل على الله يكفيه الله وهو حسبه؛ يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وهذا هو معنى السنن المشروطة؛ بخلاف السنن القطعية غير المشروطة، فهي غير مرتبطة بشرط؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[2].

فإنّ الابتلاء سُنة مطلقة وغير مشروطة.

والتوكل هو أحد وجهي القرار.

والوجه الآخر للقرار هو (الاستشارة)، وتتم الاستشارة في مرحلة التحضير للقرار؛ بالتداول والمناقشة مع أصحاب الرأي.. وهذا هو الوجه الآخر للقرار.

الوجه الأول هو (التوكل) في مرحلة التنفيذ والعزم.

وأما الاستشارة ففي مرحلة التحضير للقرار، وهي تنفع في تنضيج القرار وترشيده.

---

١. الطلاق: ٣.

٢. البقرة: ١٥٥.

والتوكل في مرحلة القرار العزم والتنفيذ ينفع في كبح (الأنا)، وتعميق اعتماد العبد على الله تعالى وحوله وقوته.

وعن هذين الوجهين للقرار، يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

والتفويض أن يضع الإنسان نفسه وتصرفه وإرادته وعقله تحت تصرف الله تعالى، يوجهه كيفما يريد، فيعمل بما يريد الله ويختار له. وليس معنى ذلك أن لا يخطط ولا يفكر ولا يحاول، وإنما معنى ذلك أن يجعل تفكيره وعزمه وتدبيره وسعيه في امتداد ما يريد الله تعالى له.

وأثر التفويض في حركة العبد: التسديد، والتأييد، والتبصير من الله تعالى لعبده: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2]. وأثره في نفس العبد: الاطمئنان والثقة بالله في الحركة، فإن الإنسان إذا شعر بأن حركته وعمله من تدبير الله، وأن الله يتولى تدبير أمره، ويوجهه، ويبصّره، فإنه يكتسب قوة ومعنوية عالية في العمل.

إن (العمل) و (الحركة) في ساحات الحياة يمكن أن يكونا سُلّماً يرفع الإنسان إلى قمم التوحيد؛ إذا شدّ الإنسان حركته وعمله بالله تعالى توكلاً وتفويضاً.

ويمكن أن يكون عمله وحركته حجاباً بينه وبين الله إذا قطع حركته وعمله عن الله وشدّه بعجلة الأنا.

فإن الحركة والعمل بهذا الاتجاه، يصيبه بخيبة كبيرة في حال الفشل، وبنشوة الذات والأنانية في حالة النجاح. وكلاهما ضاران.

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. غافر: ٤٤.

إن أعمالنا في الحياة يمكن أن نحوّلها إلى مراقٍ ومعارج للعروج إلى الله، وتعميق حالة الارتباط بالله والعبودية لله تعالى، ويمكن أن تتحول إلى حجب كثيفة، غليظة، تحجب صاحبها عن الله تعالى حجباً تاماً.

٣- ٤ الذكر والتقوى

لا نقصد بالذكر هنا التسبيح والتحميد فقط وإن كان ذلك من الذكر، ومن أوضح مصاديقه، وإنما نقصد بالذكر هنا؛ أن يبقى الإنسان العامل في ساحة العمل، في الإدارة، والقيادة، ومواجهة المشاكل، مرتبطاً بالله تعالى، واضعاً ثقته في الله، مشدوداً بالله، داعياً الله أن ينصره ولا يخذله، ويتولى أموره، ولا يكله إلى نفسه.. وهذا الذكر لا يتعارض مع العمل؛ بل يقوى به العمل، وهذا هو الذكر الذي يأمرنا به الله تعالى في ساحة المعركة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وهذه أربع تعليمات في ساحة القتال: الصبر، والذكر، والطاعة، والتفاهم.

وهذه الأربعة هي من أهم عوامل النصر:

الصبر والصمود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾.

الذكر: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾.

الطاعة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

---

١. الأنفال: ٤٥ - ٤٦.

التفاهم والانسجام: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة (الذكر) من أهم عوامل النصر، وفي مقدمتها، فإن ذكر الله في ساحة المعركة يشدّ ضعف العبد بقوة الله، وعجزه بسلطان الله تعالى، ويمنح الإنسان الشعور بالاستعلاء على الأعداء، وعندها يتصاغر الأعداء في عيون المؤمنين، مهما بلغوا في العدد، وتتضاءل قوتهم، مهما أعدوا من أسلحة وآليات؛ لأن القائد والجندي ممن عظُم الخالق في نفسه فصغر ما دونه في عينيه، على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام[1].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ فِي الْحَرْبِ، فَأَقِلُّوا الْكَلَامَ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ**»[3].

لأن النفس الإنسانية بطبيعتها الضعيفة تكره الموت وتؤثِر البقاء، وهي في خضمّ المعركة تتوقع الموت في أي لحظة.

ولاشيء يسكّن هذه النفس الجزوعة الهلوعة إلاّ ذكر الله، وترغيب النفس لما اختاره الله تعالى لعباده الصالحين من الرحمة والرضوان إذا كان موته قتلاً في سبيل الله.

---

١. من قوله عليه السلام لهمام أحد أصحابه في خطبة تسمى بـ (خطبة المتقين): «**عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**». نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٤، ص٢٢٥. (من المحقق)

٢. الرعد: ٢٨.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣٤ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه، ج١٥، ص٩٧، ح٥.

يؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأهل الثغور على التذكير بنعيم الجنة الذي أعده الله للشهداء: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ**»[1].

ولذكر الله أهمية كبيرة في حياتنا العملية في الأسواق ودوائر العمل. عن أمير المؤمنين عليه السلام «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا دَخَلْتُمُ الْأَسْوَاقَ، وَعِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ، وَزِيَادَةٌ فِي الْحَسَنَاتِ، وَلَا تُكْتَبُوا فِي الْغَافِلِينَ**»[2].

وبالتقوى يحصّن الإنسان نفسه من خطر الأهواء النفسية، ومن الخيانة والغش.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[3].

هذا الطائف الشيطاني يغشي الأبصار حينما يسير الإنسان في طريق الحياة الواسع المزدحم، ومن هنا يحتاج إلى ضوء يكشف له معالم الطريق لكي يسير مطمئناً لا تميل به رياح الإغراء إلى اليمين والشمال.

---

١. الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام لأهل الثغور، الدعاء ٢٧، ص١٠٥ - ١٠٦.

٢. الصدوق، الخصال، ج٢، ص٦١٤.

٣. الأعراف: ٢٠١.

هـذا الضـوء هـو الشـعور بالتقـوى الـذي يخرجـه مـن الأزمات حينـما يصـل فـي تفكيـره الإنسـاني المحـدود إلـى طريـق مسـدود.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[1].

إنهـا سـنة إلهيـة ثابتـة تـؤدي إلـى خـروج الإنسـان مـن مضائـق الحيـاة، ومـن ضنـك العيـش، ولكنهـا مشـروطة بالتقـوى، وللتقـوى معطيـات عظيمـة يعددهـا أميـر المؤمنيـن عليه السلام فـي خطبتـه؛ حيـث يقـول: «**فَمَـنْ أَخَـذَ بِالتَّقْـوَى عَزَبَـتْ عَنْـهُ الشَّـدَائِدُ بَعْـدَ دُنُوِّهَـا وَاحْلَوْلَـتْ لَـهُ الْأُمُـورُ بَعْـدَ مَرَارَتِهَـا وَ انْفَرَجَتْ عَنْـهُ الْأَمْـوَاجُ بَعْـدَ تَرَاكُمِهَـا وَ أَسْـهَلَتْ لَـهُ الصِّعَـابُ بَعْـدَ إِنْصَابِهَـا**»[2].

إنهـا السـعادة الحقيقيـة التـي يقـول عنهـا الإمام الحسـين عليه السلام فـي دعائـه: «**وَأَسْـعِدْنِي بِتَقْـوَاكَ، وَلَا تُشْـقِنِي بِمَعْصِيَتِـكَ**»[3].

فـإذًا؛ بالتقـوى وحدهـا يتحصـن القائـد والداعيـة إلـى الله، ويسـتطيع الصمـود بوجـه الإغـراءات والعـروض التـي تجـرف الكثيريـن.

أرسـل أحدهـم بصُـرَّة أمـوال إلـى أبـي ذر رحمه الله عليه علـى يـد عبـد لـه، وقال لـه: إن قبلهـا فأنـت حـر. فأتـاه بهـا فلـم يقبلهـا، فقـال: اقبلهـا يرحمـك الله! فـإن فيهـا عتقـي، فقـال: إن كان فيهـا عتقـك، فان فيهـا رقـي. وأبـى أن يقبلهـا[4].

وعـن أميـر المؤمنيـن عليه السلام فـي وصـف المتقـي: «**قَـدْ أَحْيَـا عَقْلَـهُ، وَأَمَـاتَ نَفْسَـهُ حَتَّـى دَقَّ جَلِيلُـهُ، وَلَطُـفَ غَلِيظُـهُ، وَبَـرَقَ لَـهُ لَامِـعٌ كَثِيـرُ الْبَـرْقِ، فَأَبَـانَ**

---

١. الطلاق: ٢ - ٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩، ص٢٣٣.

٣. ابن طاوس، إقبال الأعمال، ص٣٤٢.

٤. محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص٢٣١.

لَـهُ الطَّرِيـقَ، وَسَـلَكَ بِـهِ السَّـبِيلَ»[1].

وما أحـوج القيـادات إلـى هـذا البريـق الـذي يكشـف عنهـم الظلـمات، وينيـر لهـم الطريـق.

٥- القرار

من مواصفات القرار الأساسية:

أن يكون سديداً، صالحاً وناجحاً، نابعاً من حزم وتروٍّ وتدبير.

وأن يكسب ثقة الناس ودعمهم وإسنادهم.

ثم القوة والعزم في التنفيذ وعدم التردد في ذلك.

هذه ثلاثة عناصر أساسية للقرار الناجح.

العنصر الأول: أن يكون القرار سديداً صالحاً؛

ولإحـراز ذلـك لابـد مـن اتخـاذ القـرار بالتأنـي والدراسـة المعمقـة والنظـر فـي أبعـاده، فـلا يكـون القـرار هشـاً سـريعاً كـرد فعـل للظـروف الطارئـة التـي تسـتفز المسـؤولين، فتضطرهـم لإتخـاذ القـرار المسـتعجل؛ بـل يجـب التخطيـط الدقيـق، وإجـراء مقارنـة بيـن احتـمالات الخسـارة واحتـمالات النجـاح.

«يـروى أن رَجُـلًا أَتَـى النَّبِـيَّ ﷺ فَقَـالَ لَـهُ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ أَوْصِنِـي. فَقَـالَ لَـهُ: فَهَـلْ أَنْـتَ مُسْـتَوْصٍ إِنْ أَنَـا أَوْصَيْتُـكَ؟ حَتَّـى قَـالَ لَـهُ ذَلِـكَ ثَلَاثـاً، وَفِـي كُلِّهَـا يَقُـولُ الرَّجُـلُ: نَعَـمْ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ. فَقَـالَ لَـهُ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنِّـي

١. نهج البلاغة، الكلمة: ٢١٠، ص٢٥٥.

أُوصِيكَ إِذَا أَنْتَ هَمَمْتَ بِأَمْرٍ، فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، فَإِنْ يَكُ رُشْداً فَامْضِهِ، وَ إِنْ يَكُ غَيّاً فَانْتَهِ عَنْهُ»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«مَنْ تَوَرَّطَ فِي الْأُمُورِ غَيْرَ نَاظِرٍ فِي الْعَوَاقِبِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُفْظِعَاتِ النَّوَائِبِ»**[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في وصية لعبد الله بن جندب: **«وَقِفْ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ، حَتَّى تَعْرِفَ مَدْخَلَهُ مِنْ مَخْرَجِهِ، قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِيهِ، فَتَنْدَمَ»**[3].

فالقرار ليس أمراً شخصياً لكي يغامر القائد باتخاذه وتنفيذه؛ بل يشمل مصير الأمة والجماعة التي يقودها، وله آثار سلبية أو إيجابية على وجودها.

ومن هنا يأمر أمير المؤمنين عليه السلام المسؤولين بالتدبر الشديد قبل وقوع الكارثة بقوله: **«وَالتَّدَبُّرُ قَبْلَ الْعَمَلِ، فَإِنَّهُ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ»**[4].

العنصر الثاني: مشاركة الناس في القرار؛

لكي تضمن القيادة دعمهم لها، فالحاكم المستبد الذي يستأثر باتخاذ القرار، ثم ينفرد لوحده في مرحلة تشريعه وتنفيذه، لا يكسب الناس إلى صفه، ومن أسرار الاستشارة كسب الناس.

---

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٣٣ من أبواب من أبواب جهاد النفس وما يناسبه، ج١٥، ص٢٨١، ح١.

٢. المصدر نفسه، ح٢.

٣. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٠٣.

٤. محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج٢٥، ص٥٠.

يتضح هذا المعنى بوضوح أكثر في آية الشورى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

ويذكر رسول الله ﷺ أهمية الشورى بقوله: «**أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يقدم إلاّ رشداً، وما لم يستشر لم يقدم إلاّ غيا**[2]»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا**»[4].

فالاستشارة تحفظ الإنسان من هلاك الاستبداد، ومن خطر الأخطاء التي تفقد ثقة الناس بقائدهم؛ لأنها تثير الشكوك حول قدرته على إدارة الأمور، وهذه الشكوك وحدها تكفي في تخريب العلاقة بالناس.

ولكن ينبغي أن نفهم أنّ الشورى لولي الأمر، إذا كانت واجبة لقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر)، فهي غير مُلزِمة؛ لعدم وجود دليل على الإلزام؛ ولأن الآية الكريمة تربط التنفيذ والعمل بعزم الرسول ﷺ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي

---

١. آل عمران: ١٥٩.

٢. هكذا ورد في النسخة الأصلية لكتاب الشيخ رحمه الله، لكن المنقول في المصادر بتغيير بسيط: (فمن استشار منهم لم يُعدم رشدا، ومن تركها لم يُعدم غيا). (من المحقق)

٣. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٢، ص٩٠.

٤. نهج البلاغة، الحكمة: ١٥٢، باب المختار من حِكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص ٤٣٨.

شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ، فَإِذَا خَالَفْتُكَ فَأَطِعْنِي[1].

فإن القائد ينبغي أن يتداول مع أصحابه حول ما يستجد على الساحة من أحداث، ولكن تبقى وظيفته الأساسية اختيار الرأي الأنسب، فإذا عزم فلابد أن تكون الكلمة الأخيرة له، وعلى الجميع أن يطيعوه.

العنصر الثالث: العزم والقوة وعدم التردد؛

بعد مرحلة التروي، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**رَوِّ تَحْزَمْ، فَإِذَا اسْتَوْضَحْتَ فَاجْزِمْ**»[2].

وعنه عليه السلام: «**اعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْحَزْمِ الْعَزْمَ**»[3].

فلابد من الحزم والعزم لوجود التلازم بينهما، فإذا ضعف الحزم ضعف العزم، وإذا اشتدَّ الحزم تضاعف معه العزم.

وهذه الحقيقة يؤكدها عليه السلام بقوله: «**من قل حزمه ضعف عزمه**»[4].

فلا يصح التردد في التنفيذ بعد اتضاح الرؤية؛ بل يتوكل على الله وحده ويقدم على العمل.

٦- الحسم والقطع بعد الحزم

يحتاج القائد في بعض المواضع إلى الحسم والقطع السريع، وألا يتراجع بعد مرحلة الحزم. فإذا وجد أنّ الموقف لا يتحمل التأخير، فعليه

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٢٤ من أبواب تتمة كتاب الحج، ج١٢، ص٤٥، ح٤.
٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٤١.
٣. المصدر نفسه، ج٧٥، ص١١.
٤. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة ١٠٨٥٨، ص٤٧٤.

بالتوكل والمبادرة الفورية قبل ضياع الفرصة من يديه.

وأوضح مثال على ذلك هو ما فعله طارق بن زياد عندما ولاه موسى بن نصير طنجة، فجمع معه البربر ثم أمره باجتياز البحر وتحرير الأندلس.

فاجتاز طارق بن زياد البحر بمن معه من البربر، ثم أمر بحرق السفن من ورائهم، وإهلاك الطعام الذي معهم إلاّ طعام يوم واحد.

كانت إسبانيا في وقتها مستعمرة يونانية، وكان الملك يومئذ (لودريق) (لودريك)، فلما أقبل عليهم لودريك بجيش كبير، خطب طارق بن زياد في جيشه، وقال لهم: (أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم، والعدو أمامكم، فليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا ردء لكم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم غير ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم).

فلما برز الصفان عرف طارق بن زياد لودريك، وقصده بمن معه، فتفرق عن لودريك الجيش، فقتله طارق، والتحم الجيشان، ووقعت الهزيمة في جيش المشركين، وتم لجيش المسلمين الفتح.

وأخذ طارق يتقدم المدينة بعد الأخرى دون أن يستطيع أحد مقاومته حتى وصل إلى الساحل الآخر الشمالي للمحيط الأطلسي (خليج بسكاي)[1].

واستقرت بها دولة وحضارة إسلامية أذهلت أوروبا في العلوم والآداب

١. عبد الله بن قتيبة الدينوري، تاريخ الخلفاء، ج٢، ص٨٥ - ٨٨.

والفنـون.

٧- المؤمن بين الفطنة والتغافل

يقـع المؤمـن بيـن هذيـن الموقعيـن (الكياسـة والحـذر والفطنـة مـن جانـب والتغافـل مـن جانـب آخـر).

ولا تخالـف ولا تناقـض بيـن هاتيـن الخصلتيـن؛ بـل الأمـر بالعكـس، هاتـان الخصلتـان كل منهـما يكمّـل الآخـر، ويتكامـلان.

وسوف نتوقف قليلاً عند شرح هذه النقطة.

ونبـدأ بالنقطـة الأولـى: المؤمـن يتصـف بالحـذر والكياسـة والفطنـة، ولا يكـون غافـلاً ولا مغفـلاً.

وقد ورد في الحديث «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ**»[1].

وليـس معنـى ذلـك أنّ خلـق المؤمـن وتكوينـه يختلـف عـن الآخريـن، فيخلـق الله المؤمنيـن كيّسـين، ويخلـق غيرهـم مـن غيـر كياسـة.

فقـد يكـون المؤمـن فـي التكويـن أقـل كياسـة وفطنـة مـن منافـق أو كافـر، ويكـون الكافـر والفاسـق أكثـر كياسـة وفطنـة فـي الخلـق مـن المؤمـن؛ وهـو يتفـق كثيـراً.

وإنـما معنـى هـذه المقولـة؛ أن المؤمـن يكتسـب الكياسـة والحـذر والفطنـة فـي حياتـه وسـلوكه؛ لأن المنهـج التربـوي فـي الإسـلام يوجّـه المؤمنيـن باتجـاه الكياسـة والفطنـة والحـذر فـي تعليماتـه؛ ولأن طبيعـة مسـؤولية المؤمنيـن وحضورهـم فـي سـاحة المواجهـة والصـراع تتطلـب

١. قطب الدين الراوندي، سلوة الحزين، ص٣٩.

منهم الحذر والكياسة والفطنة، فإنّ من يتحرك في ساحة الصراع والقتال لابد له من الحذر والانتباه، ولحظة غفلة وإهمال كافية للقضاء عليهم.

وبذلك؛ فإن معنى أحاديث من قبيل «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ**» أو «**الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ خَيْرٌ مِنْ الضَّعِيفِ**»[1]، أن المؤمن يروّض نفسه لاكتساب خصال الفطنة والحذر والقوة. وهذا هو الموقع الأول.

والموقع الثاني: (التغافل) والمؤمن يقع بين (الفطنة والحذر والانتباه) من جانب، و(التغافل) من جانب آخر.

وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**صلاح التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل**»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمن نصفة تغافل**»[3].

والتغافل غير الغفلة وما يجب أن يبرأ منه المؤمنون هو (الغفلة)، وما ينبغي أن يتحلى به المؤمنون هو (التغافل)، وليس من الحذر والانتباه والفطنة أن يواصل الإنسان التحذير والتنبيه والعتاب والمؤاخذة للناس على غفلاتهم وسقطاتهم.. فإن هذا النوع من السلوك من ناحية المسؤولين سرعان ما يفسد العلاقة بينه وبين الناس، ويخسرهم.

والموازنة الصحيحة بين الفطنة والكياسة من جانب، والتغافل من

---

١. فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج١، ص٣٥٢.

٢. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٣٥٩.

٣. لم نعثر عليه نصّا في المصادر الروائية. وربما مقصود الشيخ رحمه الله ما ورد في غرر الحكم: (نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل). (عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة ٥٠٢٦، ص٢٤٥). (من المحقق).

جانب آخر هو ما ورد في الحديث من الموقع الوسط بين الفطنة والتغافل، فيكون شطر من علاقاته وملاحظاته قائمةً على الفطنة والحذر، والشطر الآخر من علاقاته وملاحظاته قائمةً على التغافل والتجاهل، (وليس الغفلة والجهل).

فليس من الصحيح أن تكون علاقاته وملاحظاته كلها قائمة على أساس التنبيه والتذكير والمتابعة والملاحظة والتوبيخ والعتاب.. فإن ذلك سوف يُخسره شطراً من أصدقائه، والمتعاملين معه، وعلاقاته الاجتماعية والإدارية.

وليس من الصحيح أن يبني علاقاته ومسؤولياته معاً على الإهمال والمسامحة في الأخطاء والتخلفات؛ فإن ذلك سوف يفقده السيطرة على دائرة مسؤولياته.

والصحيح بينهما الموقع الوسط؛ بين الفطنة والتغافل، والمؤاخذة والمسامحة المبنية على التغافل.

والمسامحة القائمة على التغافل أفضل من المسامحة بعد المحاسبة في بعض الأحيان.

إن الإنسان إذا أحصى على أصحابه وأصدقائه وزملائه ومن يقع في دائرة مسؤولياته كل أخطائهم وزلاتهم وسقطاتهم، وحاسبهم حساباً عسيراً صارماً لا يسلم له صديق ولا علاقة، ولا يبقى لديه من يخلص له في عمله إلاّ قليلاً.

عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال: خدمت رسول الله ﷺ

ثلاث عشر سنة[1]، فما قال لي يومًا في شيء فعلته، لم فعلته؟ ولا قال لي في شيء تركته، لم تركته؟[2]

إن الإكثار من اللوم والعتاب والملاحظة والمؤاخذة في علاقات العمل، وفي علاقات الحياة العامة، يفرّق الناس من حول الإنسان، ويكرّه الإنسان إليهم، فلابد في كثير من الأخطاء والزلّات الصغيرة من استخدام حالة التغافل، وهو أجدى وأنفع في معالجة الكثير من الأخطاء.

وقد روي (أن التغافل أحد الاحتمالين)[3].. ومعنى ذلك أن هناك بإزاء المسؤولين احتمالين، يجب عليهم احتمال أحدهما، وكل منهما يتطلب جهداً نفسياً وعملياً:

الاحتمال الأول: المحاسبة والتنبيه واللوم والعتاب في كل زلة ومخالفة، وهو (احتمال) لا شك يتطلب جهداً نفسياً وعملياً.

الاحتمال الثاني: هو التغاضي والتغافل عن السقطات والزلات الصغيرة، وهو يتطلب أيضاً جهداً نفسياً بلا شك، فإن التغافل عما يعلمه الإنسان ويلاحظه من الأخطاء لا يقلّ عن معاناة المحاسبة والمؤاخذة.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**المؤمن نصفه احتمال ونصفه تغافل**»[4].

ومعنى ذلك أن المؤمن يتحمل طائفة من أخطاء أصحابه، وهذا هو الشطر الأول من تعامله مع الآخرين. والشطر الثاني هو التغافل.. وهو

١. في المصادر (عشر سنين). لاحظ الهامش التالي. (من المحقق)

٢. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٤، ص٤٢٣.

٣. لم تعثر عليه في المصادر. (من المحقق)

٤. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة ٦٣٦١، ص٢٨٤.

يقع بين تحمّل أخطاء الآخرين والتغافل عنهم.

وليس معنى التحمّل في الشطر الأول التغاضي والمسامحة دائماً، فقد يقتضي الأمر التغاضي والمسامحة، وقد يقتضي الأمر المحاسبة والمؤاخذة.

ومن وصايا علي بن الحسين عليه السلام لابنه محمد الباقر عليه السلام: «**اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ صَلَاحَ الدُّنْيَا بِحَذَافِرِهَا فِي كَلِمَتَيْنِ: إِصْلَاحِ شَأْنِ الْمَعَايِشِ مِلْءَ مِكْيَالٍ؛ ثُلُثَاهُ فِطْنَةٌ، وَ ثُلُثُهُ تَغَافُلٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَغَافَلُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ قَدْ عَرَفَهُ وَ فَطَنَ لَهُ**»[1].

والنقطة التي يشير إليها الإمام عليه السلام دقيقة، فإن التغافل يتطلب الوعي والانتباه، فإن الإنسان لا يتغافل إلاّ من شيء لاحظه وانتبه إليه.

وإذا فقد المؤمن دقّة الملاحظة والانتباه فيما حوله، فلم ينتبه، فتلك غفلة وجهل، وليس من التغافل في شيء، ولا قيمة له.

وإنما قيمة التغافل أنه مسبوق بالملاحظة والانتباه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**صَلَاحُ شَأْنِ النَّاسِ التَّعَايُشُ وَالتَّعَاشُرُ مِلْءَ مِكْيَالٍ؛ ثُلُثَاهُ فَطَنٌ وَثُلُثٌ تَغَافُلٌ**»[2].

٨- الرأي والموقف

ليس للرأي المجرد عن الموقف والحركة قيمة كبيرة عند الله تعالى، وليس له دور في التاريخ في الهدم والبناء؛ في هدم الباطل وبناء الحق،

١. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، الباب ١٠٤ من أبواب أحكام العِشرة في السفر والحضر، ج٩، ص٣٨، ح٦.

٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص١٦٧.

فـإذا تحـول الـرأي إلـى موقـف وحركـة وعمـل، باتجـاه التوحيـد والعـدل والدعـوة إلـى الله، وتحريـر المسـتضعفين مـن النـاس.. عندئـذٍ يكـون للـرأي قيمـة عنـد الله، ودور فـي التاريـخ.

كثيـرون مـن النـاس كانـوا يعتقـدون أن بنـي أميـة فـي فسـادهم وظلمهـم وترفهـم وإسـرافهم فـي ديـن الله وفـي دماء المسـلمين وأمـوال المسـلمين علـى باطـل، وأن الحسـين عليه السلام علـى حـق ولكـن لا نجـد لهـذا الـرأي دوراً ولا قيمـة ولا تأثيـراً فـي نقـض حكومـة بنـي أميـة وتأسـيس الحـق والعـدل.

أما النفـر القليـل الـذي وقـف مـع الحسـين عليه السلام يـوم عاشـوراء، وحولـوا الـرأي إلـى موقـف وحركـة وتضحيـة.. هـؤلاء هـم الذيـن ارتضاهـم لله تعالـى واجتباهـم وهـم الذيـن غيـروا وجـه التاريـخ، وكشـفوا القنـاع عـن وجـه بنـي أميـة، وحاربـوا الباطـل ووقفـوا مـع الحـق، وبصّـروا الأجيـال، وحفظـوا الإسـلام مـن حملـة التشـويه الأمويـة.

وهـذا هـو ما ذكرنـا مـن أن الـرأي المجـرد عـن الموقـف والحركـة لا قيمـة كبيـرة لـه عنـد الله، ولا دور مؤثـر فـي التاريـخ.

٩- القرار والموقف بين المرونة والحِدّية

عرفنا أن قيمة الرأي بـ (الموقف).

والآن نتساءل ما هي حدود الموقف؟

يحمـل (الموقـف) بالتأكيـد حالـة مـن الحِدّيـة، ومـن دون الحديـة القويـة لا يكـون الموقـف موقفـاً، وإنـما يكـون (مذبذبـاً)، والمواقـف المذبذبـة لا قيمـة لهـا، كـما لا قيمـة كبيـرة للـرأي المجـرد عـن الموقـف.

لقـد حمـل أبـو طالـب رضـوان الله عليـه إلـى رسـول الله صلى الله عليه وآله رسـالة مـن

عتاة قريش، طلبوا منه إبلاغها إلى رسول الله ﷺ، وخلاصتها: أن يكف عن رسالته، فيمنحوه من أموالهم وجاههم وعشيرتهم ما يغنيه، ويحقّق له كل ما يطلب من الدنيا.

فحمل أبو طالب رحمه الله الرسالة وهو يعلم الجواب سلفاً، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته**»[1].

وجاء جلاوزة الخليفة إلى الخليفة بالشخص الذي كان يتستر على يحيى بن زيد رحمهما الله، فطلب منه أن يكشف عن مكان اختفائه، فقال له: ومن أين آتيك به وقد أخفته؟ فاختفى منك، ولست أعلم أين هو؟ فقال له: لتأتيني به أو لأقتلنك، فقال له الرجل: «**والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه**»[2].

وعرض عبد الرحمن بن عوف الخلافة يوم الشورى على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أن يعرضها على عثمان بن عفان، فقال له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الشيخين.

فأبى أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ أن يسير طبقاً لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأما سيرة الشيخين فله رأيه فيها إذا طابقته أو خالفته، ورفض الخلافة كلها من أجل هذه الكلمة[3].

هذه هي الخصلة الأولى للقرار والموقف، وهي الحِدّية.

والخصلة الثانية لهما: المرونة.

---

١. سيرة ابن هشام، ج١، ص٢٦٦.

٢. أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٦١.

٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٨٨.

وقد قلنا فيما تقدم كيف تنازل رسول الله ﷺ في أحُد عن رأيه لشباب الصحابة، عندما أصرّوا عليه بالخروج عن المدينة لمقابلة المشركين، لئلا يكون في ذلك وهن وضعف على المسلمين، فقبل رسول الله ﷺ رأيهم على مضض، وكانت النتيجة النكسة المرّة التي أصابت المسلمين في (أحُد)، ولكن رسول الله ﷺ آثر أن يأخذ برأي أصحابه، ولا ينفرد عنهم بالقرار، مهما كانت النتائج.

وأمير المؤمنين عليه السلام الذي عرفنا رأيه في سيرة الشيخين، وامتناعه من قبول الخلافة إذا كانت مشروطة بسيرة الشيخين، لم يغيّر إقامة صلاة التراويح جماعةً التي أمرها بها الخليفة الثاني، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد صلوها من قبل على نحو الانفراد، فلم يُعِد أمير المؤمنين عليه السلام صلاة التراويح إلى الحالة التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ.

إن لكل من الحِدية والمرونة موضعًا في القرار والموقف، والموازنة الدقيقة بينهما، وتشخيص موضع كل منهما هو من شأن الحاكم والمسؤول، والعقل الإداري والقيادي هو الذي يحدد موضع كل منهما من القرار والموقف.

ومن دون ذلك قد يتحول القرار والموقف إلى حالة من الانتحار السياسي والإداري.

١٠- الانضباط الأمني والسياسي

عاش أتباع أهل البيت : في أيام بني امية وبني العباس ظروفاً سياسية قاهرة، وتحديات أمنية صعبة.. وقد كان شيعة أهل البيت : هم المعارضة القوية الواسعة في الساحة الإسلامية يومذاك. ولولا هذه المعارضة

السياسية والثقافة لم يسلم من الإسلام شيء في أيام بني أمية وبني العباس، بسبب ممارساتهم في الظلم والإفساد والإسراف وتغيير معالم دين الله عن مسير الوحي، وأما سائر المعارضات فقد أخلت الساحة لبني أمية وبني العباس، ولم يكن لها دور أساسي، كما فعلت الخوارج، فقد كانت مواقفهم الانفعالية غير العقلائية، سبباً للقضاء عليهم وإنهائهم تاريخياً.

ولذلك كان أتباع أهل البيت : يعيشون دائماً ظروفاً أمنية صعبة جداً من ناحية حكام بني أمية وبني العباس، وكانت هذه الظروف تهدد كيانهم الثقافي والسياسي والحركي بصورة جديّة.

ولولا التعليمات الأمنية الصادرة من أهل البيت : لشيعتهم لم يبق لشيعة أهل البيت : دور وأثر في التاريخ ولا في الحاضر.

وكانت هذه التعليمات تدعوهم إلى المحافظة على أسرار (جماعة أهل البيت وشيعتهم)، وتنظيماتهم ومراكز تواجدهم، وجبايتهم للأموال، وشبكة الوكلاء التي كانت تنظم علاقة شيعتهم بهم من مختلف البلاد يومذاك، وتنظم شبكة دعاة أهل البيت : في خراسان، وآسيا الوسطى، والمغرب العربي في أفريقيا، ولقد اتسعت شبكة حركة أتباع أهل البيت: ونشاطهم اتساعاً كبيراً، وشملت مساحات واسعة من أقاليم الفتح الإسلامي.. ولم تكن السلطة يومذاك غافلة عما يجري على الأرض الإسلامية من نشاط واسع وحركة واسعة لأتباع أهل البيت : إلاّ أن السِّرية الصارمة، والتعليمات الأمنية الدقيقة كانت تحفظ شيعة أهل البيت : من فتك الحكومات المحلية والمركزية.

ولقد كانت تعليمات أهل البيت : في الانضباط والأمن دقيقة جداً، تمنع من إذاعة أسرار الجماعة، ومراكز تواجدهم، ووجوه نشاطهم،

وتمنع من لغو الكلام والثرثرة حتى في أوساطهم، وتمنعهم من الطيش والانفعال في الحديث عن شيعة أهل البيت، لئلاّ يجرهم الانفعال والطيش والكلام اللامسؤول إلى إذاعة أسرار هذه الجماعة، عندما يأخذهم الاندفاع في التنويه بهم ونشاطهم، والاعتزاز بمواقعهم وعملهم وانجازاتهم.

فإن الاندفاع في الحديث عن الانجازات الحركية والثقافية والسياسية لأتباع أهل البيت : وانتشارهم في البلاد البعيدة كان يؤدي أحياناً إلى إذاعة أسرار وكلاء أهل البيت : ودعائهم وشبكاتهم التنظيمية.

وفيما يلي نذكر طائفة من هذه التعليمات:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**امْتَحِنُوا شِيعَتَنَا عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ كَيْفَ مُحَافَظَتُهُمْ عَلَيْهَا، وَإِلَى أَسْرَارِنَا كَيْفَ حِفْظُهُمْ لَهَا عَنْ عَدُوِّنَا**»[1].

هذان اختباران لشيعتهم: أداء الصلاة عند مواقيتها، والاهتمام بأمر الصلاة، وعدم التهاون فيها، ثم يأتي بعد ذلك مباشرة المسألة الأمنية.

الصلاة أولاً والأمن ثانياً، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام في موقع الأمن والانضباط في الجماعة.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يعلن انزعاجه وغضبه على أولئك الذين يهتكون أسرار شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وشبكاتهم وقياداتهم وجباياتهم، ويعلن تشكيكه في صدقهم في الانتماء إلى هذه الجماعة.

فإن أبرز خصائص هذه الجماعة بعد الصلاة الانضباط الأمني.

---

١. عبد الله بن جعفر الحميري، قرب الإسناد، ص٧٨، ح٢٥٣.

فكان عليه السلام يقول: «**قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنِّي إِمَامُهُمْ! وَاللَّهِ مَا أَنَا لَهُمْ بِإِمَامٍ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ، كُلَّمَا سَتَرْتُ لَهُمْ سِتْراً هَتَكُوهُ**»[1].

وهؤلاء الناس غير المنضبطين أمنياً والذين كانوا يهتكون أسرار جماعة أهل البيت : وشيعتهم، قد يكونون من العناصر الأمنية المتسللة من الأمن الحكومي داخل الجماعة، وقد يكون هؤلاء من غلاة الشيعة الذين يحمّلون أهل البيت : ما لا يؤمنون به، ولا يقولون؛ بل ما يرفضونه رفضاً قاطعاً، هذه الشريحة المغالية كانت من مصائب أهل البيت :، فكانوا يعلنون براءتهم منهم ومن أفكارهم ومن تصرفاتهم.. ويرفضونهم، ويبدو أن أهل البيت : كانوا يشكّون شكا قوياً في صدقهم، ويعتقدون أنهم حالة اختراقية من عناصر بني أمية وبني العباس الأمنية، تمكنوا بالوسائل الأمنية من اختراق الجماعة، والدخول في تنظيماتهم، وأشاعوا في صفوفهم أفكاراً من الغلو في أهل البيت :. كان أهل البيت يعلنون رفضهم لها ويحاربونها، ويلعنون أصحابها.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام : «**وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي افْتَدَيْتُ خَصْلَتَيْنِ فِي الشِّيعَةِ لَنَا بِبَعْضِ لَحْمِ سَاعِدِي: النَّزَقَ وَ قِلَّةَ الْكِتْمَانِ**»[2].

والنزق: الطيش والانفعال، وقلة الكتمان معروف.

وقد كان سبب النزق والانفعال هو: انتشار جماعات أهل البيت : في البلاد ونشاطهم وحركتهم السريّة بعد مصرع الحسين عليه السلام في كربلاء، فكان الحديث يجري في أوساط هذه الجماعة بعد تلك المجازر عن

١. المحدث النوري، مستدرك الوسائل، الباب ٣٢ من أبواب الأمر والنهي وما يناسبها، ج١٢، ص٢٩٣، ح١٢.

٢. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، الباب ٩٨ من أبواب كتاب الإيمان والكفر، ج٣، ص٥٦١، ح١.

توسع مساحة حركة شيعة أهل البيت : ووكلائهم ودعاتهم، وكان هذا الحديث لا يخفى عن أسماع عيون بني أمية، فيكشفون بذلك تنظيماتهم؛ ولا سيما في مواعيد الحج؛ حيث يجتمع زعماء الشيعة في مكة ومنى بالإمام زين العابدين عليه السلام، فيحذّر عنه الإمام شيعته، كما يحذرهم من قلة الكتمان.. وقد كانت الكلمة الواحدة اللامسؤولة كافية لإراقة دماء المؤمنين، وتخريب بيوتهم، وتشريدهم، وتمنى الإمام عليه السلام أن يفتدي هاتين الخصلتين من شيعته ببعض لحم ساعده.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام لسليمان بن خالد: «**يَا سُلَيْمَانُ! إِنَّكُمْ عَلَى دِينٍ مَنْ كَتَمَهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَذَاعَهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ**»[1].

إن عزة هذا الدين وأهله في التقية والكتمان، ومذلة المؤمنين في إذاعة أسرارهم، فمن أراد عزّة هذه الجماعة فليبالغ في المحافظة على أسرارهم.

بهذه التعليمات الأمنية الصارمة اتسعت رقعة شيعة أهل البيت : في أقطار الفتوحات الإسلامية، وحملت معها ثقافة الوحي النقية الصافية التي حملها أهل البيت : من رسول الله صلى الله عليه وآله جيلاً بعد جيل وكابراً بعد كابر، ولم يتمكن حكام بني أمية وبني العباس بما عرف عنهم المسلمون من الظلم، والإسراف، والإفساد، واللهو، والسكر، والفاحشة التي عرف بها بعضهم علانية، أن يغيروا مجرى هذا الدين عن صراط الوحي وتعليمات كتاب الله وسنة رسول الله: بفضل هذه المرابطة على حدود الله من قبل أهل البيت :.

---

١. المصدر نفسه، ص٥٦٢، ح٣.

١١- الاتّزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات

وهي حالة الاستقرار والثبات النفسي إزاء عوامل الإثارة الخارجية القوية التي تواجه الإنسان.

وقد ورد في خطبة المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقين: «**فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ**»[١].

والوقار في الزلازل، هو أن لا يهتزّ المؤمن بين يدي الحوادث التي تزلزل نفوس الناس، ويحافظ على ثباته واستقرار سلوكه النفسي ووقاره، مهما كانت هذه الزلازل.

وفي المكاره صبور، فلا يجزع ولا يغلبه الحزن.

وفي الرخاء شكور، لا يصيبه البطر والرئاء.

وليس معنى ذلك بلادة الحس تجاه الأحداث التي تحلُّ بالإنسان، فلا يتأثر بها، وإنما معناه الاستسلام الباطني الكامل لله تعالى في كل ما ينزل عليه من جانب الله.

إنه حالة الاطمئنان الكامل إلى قضاء الله وقدره، وأنه تعالى لا يريد به في كل ما ينزل عليه من قضاء وقدر إلاّ خيراً، وقد ورد في الدعاء: «**وَاجْعَلْ نَفْسِي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، رَاضِيَةً بِقَضَائِكَ**»[٢]، فلا يجزع، ولا يخاف، ولا يحزن، ولا يقلق حيث يجزع الناس ويخافون ويحزنون ويقلقون، وهو أمر آخر غير بلادة الحس، كما ذكرنا؛ بل يتمتع أصحابها برهافة الحس، بشكل كامل، ولكن سلوكهم النفسي يبقى مستقراً ثابتاً، لا تطرأ الانفعالات

١. نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٤، من خطبة له عليه السلام تمسى بـ (خطبة المتقين)، ص٢٢٧.

٢. ابن طاوس، إقبال الأعمال، ص٤٧٠.

الحادة عليه، كما تصيب الناس.

ولا يتملكه الموقع والمنصب، ولا يوحشه لو جرّد من كل ما أوتي من المواقع والمناصب والأموال. لا يغتر بتحشد الناس حوله، ولا يوحشه انفراط الناس من حوله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً**»[1].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي رضوان الله عليه: «**وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتَّى لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ، وَقَالُوا: إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ، وَلَوْ قَالُوا: إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ**»[2].

١٢- ترك الإنسان ما لا يعنيه

الإدارة اختصاص، واعتناء.

ومعنى الاختصاص؛ أن يتفرغ لما يختص به من الأمور، فلا يتدخل المسؤول الصحي في الشؤون العلمية والجامعية، ولا يتدخل مدير الجامعة في شؤون المحروقات.. لكلٍّ اختصاصه في دائرة عمله، وتتوزع الأمور على المسؤولين حسب اختصاصهم.

ومعنى الاعتناء؛ أن يهتم المسؤولون بما يعنيهم، وما ينبغي أن يدخل في دائرة اهتماماتهم، فإذا تجاوز المسؤولون دائرة اعتناءاتهم، وانشغلوا

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٣٧، من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، ص٣٥١.

٢. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٨٤.

بما لا يعنيهم، ولا ينفعهم في دنيا ولا آخرة، تحولت حياتهم من إنتاج إلى استهلاك..

إن الجهد الإداري في دائرة الاختصاص والاعتناء إنتاج، والجهد الذي يبذل خارج هذه الدائرة استهلاك، وعلى المسؤولين أن يحترزوا حالة الاستهلاك في جهودهم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني رحمه الله: «**وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ**»[1]، فإذا قصر المسؤول رأيه وعمله فيما يعنيه ويهمّه - موضع الاهتمام والاعتناء في عمله - واحترز عما لا يعنيه، كان رأيه وعمله منتجاً، وفي غير هذه الحالة يكون رأيه وعمله من استهلاك الرأي والجهد.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ؛ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[2].

إن الدخول فيما لا يعني الإنسان محرقة للعمر والجهد، والإسلام يُحمّل الإنسان مسؤولية كل أيام عمره، وكل جهده، وشبابه. فليس له جهد فائض ولا عمر فائض يضعه في غير موضع الحاجة والضرورة.

عن أبي ذر رحمه الله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى اَلْبَدَنِ ثَقِيلٍ فِي اَلْمِيزَانِ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ هُوَ اَلصَّمْتُ وَحُسْنُ اَلْخُلُقِ وَتَرْكُ مَا لاَ يَعْنِيكَ**»[3].

هناك مؤسسات إعلامية كبيرة عملها الرئيسي تشويش آراء الناس،

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٦٩، من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني، ص٣٩٧.

٢. عبد الله بن جعفر الحميري، قرب الإسناد، ص٦٧.

٣. ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر، ج١، ص١٠٧.

وافتعال الأحداث من خلال الضجيج الإعلامي.

هذه المؤسسات الإعلامية متخصصة في افتعال الأزمات؛ لإشغال الرأي العام وإلهائه عن الاهتمامات الحقيقية للأمّة.

والأمة يجب أن تواجه هذه الأحداث المفتعلة بوعي وحذر، وتتجنّب الدخول فيها حتى لا تنشغل عن قضاياها المصيرية.

وعلى القائد أن يحذّر الناس من هذه القضايا التي لا تعنيهم؛ لئلا تجد المؤسسات الإعلامية فرصة افتعال الأزمات والأحداث المفتعلة.

إنّ إقبال الناس والرأي العام على هذه الأزمات المفتعلة إمارة الفراغ الفكري والسياسي والثقافي في حياة الناس.

يقول تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾[1]، إن عباد الرحمن يتميزون بالانشغال في الاهتمامات الحقيقية، ولا يشغلهم اللغو والبطر الفارغ من حولهم.

١٣- التنظيم والتخطيط

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: **«أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ»**[2].

التقوى والنظم عاملان أساسيان في سلامة المجتمع.

---

١. الفرقان: ٧٢.

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٤٧، من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، ص٣٦٢.

التقوى تحصّن المجتمع من الداخل، وتحفظ حدود الله سبحانه وتعالى بين الناس. والنظم يحفظ الأولويات في العمل، ويحفظ الجهد من الإهدار، ويؤمّن الحاجات الأساسية في المجتمع، ويحقق الإنتاج الكثير بأقل الجهد والزمن، ويطور حركة المجتمع.

والنظم مسألة ضرورية لكل جوانب حياة الإنسان؛ حتى في حياته الشخصية، ولا تختص بالجانب الإداري من المجتمع.. وعلى المسلم أن ينظم حياته ووقته بين العمل والعبادة والراحة والنوم والاهتمام بشؤون البيت والعائلة حتى تنتظم حياته الشخصية.

والتخطيط نحو من التنظيم للمشاريع الكبيرة قبل البدء بها. وعناصر التخطيط؛ تحديد الغايات، والأهداف، ووضع البرامج العملية للوصول إلى الغايات والأهداف، ضمن مراحل من العمل.

والتخطيط الواقعي الدقيق يأخذ بنظر الاعتبار دور الزمان في إنجاز المشروع، والإمكانات اللازمة له، والعقبات التي تعيق العمل، والطريقة الصحيحة لمواجهة العقبات..

وهذا هو معنى التدبير والعلم والحيلة على لسان النصوص الشرعية.

عن رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ مَسْعُودٍ! إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا، فَاعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ:** ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾»[1].

قالوا: إن امرأة حمقاء في مكة كانت تغزل الصوف، ثم تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

١. الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٥٨.

وكذلك العمل إذا لم يكن عن تدبير وتخطيط يكون هذا شأنه؛ نقض بعد غزل، وهدم بعد بناء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أمارات الدول إنشاء الحيل**»[1].

إن التدبير الصحيح والحيل الصحيحة تحفظ الدول وتبقيها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا: «**التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ**»[2]. وإنما يندم الإنسان على جهده وعمله، حيث لا يسبق جهده وعمله بالتدبير والتخطيط الصحيح.

فإذا أعطى الإنسان المشروع اهتماماً في التخطيط والتدبير قبل العمل بشكل موضوعي وعلمي، وفكّر في كل جوانب العمل، لم تواجهه العقبات، إنما يفاجأ الإنسان بالعقبات، إذا لم يخطط من قبل لمواجهتها، ولم يأخذها بنظر الاعتبار.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من قعد عن حيلته أقامته الشدائد**»[3].

ولربما يغني التخطيط الصحيح عن الإمكانات والآليات الكثيرة، وفي ذلك يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التلطف في الحيلة أجدى من الوسيلة**»[4].

وليس من عمل ولا مشروع إلاّ وقد جعل الله التخطيط والتدبير السليم والحيلة المناسبة سبيلا إليه.

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ٨٠٢٨، ص٣٤٨.

٢. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨٨.

٣. عبد الواحد الأمدي، مصدر سابق، حكمة: ١٠٦٣٠، ص٤٦٣.

٤. المصدر نفسه، حكمة: ٤٩٥٧، ص٢٤٣.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حِيلَةٌ**»[1].

١٤- سعة الصدر

وهو من أهم الآليات الإدارية والقيادية، وسلام الله على أبي الحسن أمير المؤمنين عليه السلام، كان يقول: «**آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ**»[2].

وسعة الصدر تعني الصبر تجاه المشاكل والتحديات، والسيطرة على النفس في حالات الانفعال والغضب، وفي حالات الفرح والتوفيق، والحلم، وهي حالة استيعاب للمشاكل والمتاعب والتحديات التي تواجه العاملين من ناحية الآخرين.

ومثل النفوس مثل الأواني الكبيرة التي لا تفيض، ولا تضيق، ولا تتلوث بما فيها، بعكس الأواني الضيقة، فإنها تفيض، وتضيق، وتنفعل بما فيها، فإذا ألقى فيها ماء آسنا وقذرا ظهر عليها.. ويلقى نفس القذر. أما الماء الآسن في البحر والنهر، فلا يبقى منه أثر بعد لحظات، يستهلكه ماء البحر.. وكذلك شأن الصدور الواسعة، تستهلك حالات الغضب والانتقام والانفعال، رغم وجود الإثارات القوية والشديدة.

وكما تقاوم الصدور الواسعة عوامل الغضب والانتقام والانفعال، وتواجهها بالصبر والحلم والتعقل، فلا يطفح عليها، ولا تتأثر بها، كذلك تقاوم عوامل الانفعال من النوع الآخر، وهو الانفعال تجاه التوفيق والنجاح والفوز، فلا يغلبهم الفرح والحبور، وما يجرّ إليه من البطر والرئاء عادة، فإن وعاء النفوس والصدور، إذا اتسعت لا تضيق بهذا ولا ذاك، وتستوفي كلا منهما، وهاتان الخصلتان وجهان لحالة واحدة، وهي حالة شرح الصدر.

---

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٨، ص١٤٤.

٢. نهج البلاغة، الحكمة: ١٦٧، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص٤٣٩.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا**»[1].

قد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، ويكاد رأسه يمس قربوس فرسه، تواضعاً لله سبحانه وتعالى، لم ينفعل، ولم ينتقم، ولم يظهر عليه من أمارات الفتح العظيمة غير الشكر لله، والتواضع لله، والاعتراف لله تعالى بالجميل فيما أعطاه.

وهذه الخصلة في نفوس المؤمنين هي التي يسميها القرآن بـ (شرح الصدر).

ويَمُنّ الله تعالى به على رسوله صلى الله عليه وآله في المراحل الأولى من الأمر بتبليغ الرسالة، فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[2]، والوِزْرُ: ثقل المسؤولية الذي ينقض ظهور المسؤولين..

ويمن الله تعالى على عبده ورسوله صلى الله عليه وآله في هذه الآيات بأمرين: شرح الصدر، وتخفيف ثقل المعاناة والعذاب والمسؤولية عنه، وهو ما تعبّر عنه الآية الكريمة بـ ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، وبينهما فرق.

وكان (شرح الصدر) أول ما طلبه كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى الله، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[3].

ففي هذه الآيات نجد نفس المطالب (شرح الصدر وتيسير الأمر).

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٣٣، من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس، ص٣٤٩.

٢. الشرح: ١ - ٣.

٣. طه: ٢٥ - ٢٨.

وشرح الصدر هو أن يوسع الله تعالى وعاء صدور عباده، لتستوعب المشاكل والتحديات بالصبر والحلم. والأمر الآخر تيسير الأمر (ويسر لي أمري): هو تخفيف ثقل العمل على المؤمنين العاملين.

وفي مقابل (سعة الصدر): ضيق الصدر؛ وهي حالة من الضيق، وعدم الاستيعاب تنتاب الإنسان في السراء والضراء معاً، تجعله عرضة للانفعالات المختلفة كالبطر والرئاء، والتعجل، والانتقام، والتعب، واليأس، وضيق النفس والغضب.

وهذه الحالات تسلب المسؤولين القدرة على إدارة الموقف، وهي حالة ضارة في إدارة الأعمال الكبيرة منها والصغيرة؛ حتى داخل العوائل، وفي الأسواق، وفي العلاقات الاجتماعية المحدودة.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما الحليم مَن؛ إذا أوذي صبر، وإذا ظلم غفر**»[1].

وأبلغ ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى هو ما أشرنا إليه سابقاً: «**لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلًا**»[2].

وهذه الكلمة تحدد حالة سعة الصدر، والقدرة على الاحتواء والاستيعاب من بعدين:

أ. في البأساء والضراء؛ فلا يسرع إليه الفشل والعَيّ والعجز والضعف.

ب. في النعماء؛ فلا يسرع إليه البطر والسرور والحبور.

---

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ٦٤٠٨، ص٢٥٨.

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٣٣، من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس، ص٣٤٩.

١٥- إضاعة المسؤولية

في الحديث: «**إِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ وَرَأْيٌ مُتَبَرٌ**»[١].

إنّ من أفدح الخطأ أن يضيّع الإنسان ما تولاّه من المسؤولية بالإهمال والتواكل، ومن الخطأ أن يتكلّف الإنسان من المسؤوليات ما يكفيه الآخرون.

فإذا تحمّل الإنسان المسؤولية، فلابد أن يعطيها حقها من الجد والاهتمام، ويُعد لها كل ما يتطلبه الأمر، من حزم وعزم، حتى ينهض بها.

وإذا وجد من ينهض بها، وكان خيرا منه وأقوى عليها، فلا يطلبها.. فقد كفاه الله تعالى أمرها.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يقول لعبد الرحمن بن سَمُرة: «**يا عبد الرحمن بن سَمُرة؛ لا تسأل الإمارة، فإنك إذا أُعطيتَها عن مسألة وُكِلْتَ فيها إلى نفسك، وإن أُعطيتَها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها**»[٢].

فإذا تحمل الإنسان المسؤولية، أعطاها كل جهده ووقته وهمه حتى يؤديها حق الأداء، ولا يضيعها بالإهمال والتسويف والتواكل وسوء الإدارة والمراقبة.

١٦- إضاعة الفرصة

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ، فَإِنَّهُ بَحْرٌ يَغْرَقُ فِيهِ**

١. المصدر نفسه، الكتاب: ٦١، من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي، ص٣٨٩.
٢. سنن أبي داود، ص٥٥٨، ح٢٩٢٩.

الْهَلْكَى، وَإِيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ، فَفِيهَا تَكُونُ قَسَاوَةُ الْقَلْبِ»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: **«لَا مَعْصِيَةَ كَحُبِّ الْبَقَاءِ وَلَا ذُلَّ كَذُلِّ الطَّمَعِ وَإِيَّاكَ وَ التَّفْرِيطَ عِنْدَ إِمْكَانِ الْفُرْصَةِ»**[2].

عمر الإنسان مجموعة من الفرص.. وعلى الإنسان إذا فتح الله تعالى له باب فرصة، أن ينتهزها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ»**[3]، فلا تدوم الفرصة طويلاً، ولا تنتظر الإنسان.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ»**[4].

فإذا سنحت للإنسان الفرصة، فعليه المبادرة قبل أن تفوت، وهذه الفرصة قد تكون في إقبال القلوب على الله تعالى في العبادة والدعاء والصلاة، وليس دائماً تقبل القلوب على الله، فإذا وجد الإنسان في نفسه إقبالاً على الدعاء والصلاة والذكر والاستغفار، فعليه أن يبادر إلى ذلك، قبل أن تفوته حالة الإقبال، وتغلبه حالة الانقباض.

كذلك في المشاريع الثقافية والسياسية والاقتصادية والتبليغية؛ قد تمر على المؤمنين فرصة من فرص العمل لا تدوم ولا تتكرر، فعليهم المبادرة بانتهاز الفرصة قبل أن تمر الفرصة.

---

١. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٨٤.

٢. المصدر نفسه، ص٢٨٦.

٣. ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللآلي، ج١، ص٢٨٩، رقم: ١٤٦.

٤. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٠، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص ٤٠٨.

لقد عاش الإمام الباقر عليه السلام فترة ضعف بني أمية، وعاش الإمام الصادق عليه السلام فترة انتقال السلطة من بني أمية إلى بني العباس، فانتهزا هذه الفرصة أفضل الانتهاز، ونشرا ثقافة أهل البيت : ومعارفهم نشراً واسعاً، وانتشرت منذ ذلك الحين معارف أهل البيت : في الأوساط العلمية الإسلامية انتشاراً واسعاً.

وللإمام علي عليه السلام كلمة في هذا الأمر ينبغي أن نتوقف عندها بعض الشيء: «**مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ، وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ**»[1].

من السفه والخطأ أن يستعجل الإنسان الأمور قبل أوانها، ومن السفه والخطأ أن يتوانى الإنسان عن المبادرة بعد حصول الفرصة.

ذلك الاستعجال وهذه الأناة كلٌّ منهما خُرق وخطأ.

١٧- الأناة

هي حالة غير (الحزم) إلاّ أنها تلتقي بالحزم.

وحقيقة الأناة: عدم التعجل.

وما يصيب الناس من التعجّل والاستعجال يكون في أمرين: في البدء بالعمل قبل أوانه، والبدء بالعمل قبل أوانه يفسد العمل؛ كمن يزرع في غير الموسم، ولكل مشروع ولكل عمل ظرفه الخاص، فإذا دخل صاحبه في المشروع في غير ظرفه، أفسد على نفسه المشروع، ويحبط عمله.

وأكثر ما يصيب الإنسان الإحباط، في الأعمال السياسية والثورية وفي حركة المعارضة السياسية وفي المشاريع الحركية، لهذا السبب.. فقد

١. المصدر نفسه، الحكمة: ٣٥٥، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص٤٨٠.

ينجح قائد في تحريك الشارع وإثارة الناس للاعتراض والثورة على نظام فاسد، ويتحرك معه الشارع، ويحقق ما يريد.. وقد يتحرّك آخر فلا يستطيع أن يصنع شيئاً، ولا يحرك ساكناً في الشارع.. والفرق الزمن والظرف.. ولو تأنّى الثاني ودرس الظروف الموضوعية للثورة، لم يواجه الإحباط، فإن للثورة ضد أي نظام فاسد ظرفها الخاص، فإذا بدأ بها قبل ظرفها لم تنجح الثورة.

ولكن ليس معنى ذلك الخلود إلى الراحة، والاستكانة للنظام الفاسد، وإنما معنى ذلك ترحيل الاعتراض والثورة والحركة ضمن مراحل من العمل والإعداد والتحضير لها.

وهذه هي الأناة الأولى في العمل؛ انتظار الظرف الزمني المناسب، وترحيل العمل ضمن مراحل، وليس الركون والسكون والسكوت.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا**»[1] ومعنى الكلمة: انتظار الوقت والظرف المناسب للعمل، وعدم التعجل في العمل، وترحيل العمل والتخطيط له ضمن مراحل.

والأناة الثانية: الأناة في جني الثمار، وكما يضر التعجل الأول، يضر التعجل الثاني، فمن يريد أن يقتطف الثمرة قبل أوانها يقتطفها فجّة، وعندئذ يصيبه الإحباط، ولو أنه تأنّى في اقتطاف الثمرة إلى أوان نضجها، لم يلحقه هذا الإحباط.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من تأنى أصاب ما يتمنى**»[2].

---

١. المصدر نفسه، الخطبة: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٨٢.

٢. لم نعثر عليه في المصادر. نعم؛ نقله الشيخ البهائي في كشكوله (ج١، ص١٢٦)

إن الذي يتأنى في إنجاز النتائج لوقتها، يحققها بأفضل الأشكال.

ومهما يكن من أمر؛ فإن للزمن وظروف العمل دوراً في البدء بالعمل وترحيله واستنجاز النتائج المطلوبة منه، ومن يتجاوز (الزمن)، يواجه حالات الإحباط كثيراً.. وسوف يأتي الحديث عن هذه النقطة تحت عنوان آخر.

١٨- المؤمن لا تقهره المصائب

مهما كان حجم المصيبة والخسارة التي تلحق المؤمنين في ساحات المواجهة والصراع والقتال.. يبقى المؤمنون فوق الإحساس بالهزيمة؛ لا يغلبهم الوهن والحزن؛ يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1]. والعامل الذي يجعل المؤمنين فوق الوهن والحزن، ويحوّل الخسائر إلى أرباح، والنكسة الميدانية في ساحة القتال إلى إحساس بالاستعلاء على العدو، هو الإيمان بالله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إن الحزن حالة طبيعية خلقها الله تعالى في نفس الإنسان، ولكن الحزن على الخسائر في النفوس والأموال، لا ينبغي أن يؤدي إلى ضعف في موقف المؤمنين، ولا أن ينال من إحساسهم بالاستعلاء على العدو، ولا يتحول إلى إحساس بالهزيمة.. وما يصح في قيادة المواقف يصح في عامة

بلفظ (من تأنّى أصاب ما تمنى) وادعى هناك أنه لأمير المؤمنين من الباب الأخير لنهج البلاغة (أي باب الحكم)، لكننا لم نعثر عليه هناك أيضا. والحديث في عهدة الراوي. وقريبا منه نقل البعض عن النبي الأعظم ﷺ: (من تأنّى أصاب أو كاد، ومن عجّل أخطأ أو كاد). (محمد تقي الشوشتري، بهج الصباغة، ج١٣، ص٢٩٥؛ وحيدر الآملي، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم، ج٢، ص٤٩١). (من المحقق)

١. آل عمران: ١٣٩.

الأعمال بدرجات مختلفة، فإن تماسك القائد في الظروف الصعبة وثقته بالله تعالى، وإحساسه بالاستعلاء على العدو، يثبّت جمهور المؤمنين على أرض المعركة، كما أن تماسك المدراء والمسؤولين في مواجهة التحديات والمشاكل يثبّت عامة الناس، ويبعث في نفوسهم القوة والطمأنينة.

١٩- البشاشة والبشر

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للأشتر رضوان الله عليه[١]: «**وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ**»[٢].

وفي وصيته لعبد الله بن عباس، وكان عامله على البصرة: «**سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ**»[٣].

إنّ على المسؤولين والحكام أن لا يحجبوا الناس عن أنفسهم أولاً، ولا يجعلوا بينهم وبين الناس حجاباً.

وإذا التقوا بالناس أن يقابلوهم بالبشر، والبشاشة وانبساط الوجه، ولا يقابلوا الناس بوجوه منقبضة.

والإمام يوصي الأشتر ; في وصيته[٤]: أن يخفض للرعية جناحه، فلا يستعلي عليهم، ويبسط لهم وجهه، فلا يقابلهم بالانقباض.

---

١. الوارد في المصادر: أنه من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله، وليس من عهده إلى مالك الأشتر كما جاء في النص. (لاحظ الهامش التالي). (من المحقق)

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٤٦، من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله، ص٣٦١.

٣. المصدر نفسه، الكتاب ٧٦، من وصية له عليه السلام لعبد الله بن عباس عند استخلافه إياه على البصرة، ص٤٠١.

٤. الصحيح: إلى عماله كما ذكرنا أعلاه. (من المحقق)

وفي وصيته لعبد الله بن عباس، يوصيه أن يسع الناس في ثلاث: في مجلسه، ووجهه، وحكمه، فلا يضيق مجلسه بالعامة من الناس (الجمهور)، ولا ينتقي لمجلسه النخبة، وإنما يفتح مجلسه لعامة الناس، في مواعيد منتظمة، وهذه هي التوسعة الأولى.

والتوسعة الثانية: أن يسعهم بوجهه، والتوسعة بالوجه من أفضل أنواع التوسعة؛ فلا يقبض وجهه في لقائهم، ولا يشعر الناس بالتضايق منهم، والوجوه تنطق للناس بالتوسعة والتضييق.

وإذا وجد المسؤول من أسباب الانقباض شيئاً في نفسه، فعليه أن يحتفظ بالانقباض والحزن لنفسه، ويتعلم أن يظهر للناس البشر والبشاشة، ويحتفظ لنفسه بالحزن والهموم.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة المتقين المعروفة في وصف المتقين: «**حزنه في قلبه وبشره على وجهه**»[1].

وفي كلمة أخرى مروية عنه عليه السلام في هذا السياق: «**إن بشر المؤمن في وجهه، وقوته في دينه، وحزنه في قلبه**»[2].

والتوسعة الثالثة في الحكم: فلا يضيق حكمه عن عامة الناس وجمهورهم، وإنما يعم عدله وحكمه الجميع، ويؤثر رضا العامة على رضا الخاصة في الحق.. وهذا هو كلام الإمام عليه السلام: «**سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ**».

---

١. الوارد في المصادر: «بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ»، وهو وارد في صفة المؤمن، وليس في خطبة المتقين كما ورد في النص. (نهج البلاغة، الحكمة: ٣٢٥، ص٤٧٥). (من المحقق)

٢. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ١٥٥٢، ص٩٠.

٢٠- الرأي بين التسرع والعُجْب

الرأي من ضرورات الإدارة، والمدير الذي لا يملك الرأي في دائرة مسؤوليته، لا يستطيع أن يمارس الدور الذي يقع على عهدته.

ولكن الرأي يتعرض لآفتين كبيرتين، يجب أن يبرأ عنهما المسؤول ويتخلص منهما:

الآفة الأولى: العُجْب؛ فإن العُجْب يفسد على الإنسان رأيه، ويفقده الرشد والصواب.. ولعل من أسباب العُجْب بِطانته الذين يقرّبون له ذلك، ويحسّنون له مواقع رأيه، ولا يجرحونه بالنقد.

وهذه الحالة تفسد على المسؤولين رأيهم، وتوقعهم في تخبط كبير.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**رضاك عن نفسك من فساد عقلك**»[١].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**من أُعجب بحسن حالته قصّر عن حسن حيلته**»[٢].

إن العُجْب يفسد على الإنسان الرأي والحيلة، وأكثر عوامل العُجْب لدى المسؤولين، البطانة المغالية والمتملقة.

وكما يجب على المسؤول أن يتوقّى العُجْب برأيه، يجب عليه أن يستمع إلى الرأي الآخر، ويحترمه، ويقلبه، فلربما شخص تزدريه العيون، يقدّم إليه رأياً جديراً بالاهتمام والتأمل.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تستصغرنّ عندك الرأي الخطير إذا**

١. المصدر نفسه، حكمة: ٧٠٦٣، ص٣٠٧.

٢. المصدر نفسه، حكمة: ٧١١٤، ص٣٠٩.

أتـاك بـه الرجـل الحقيـر»[1].

الآفـة الثانيـة: التسـرع فـي الـرأي؛ وفـي مقابـل التعجـل والتسـرع، الحـزم، وهـو التـروي والتأمـل قبـل اتخـاذ الـرأي والقـرار.

وبقـدر ما يفسـد التعجـل والتسـرع الـرأيَ علـى صاحبـه، فـإن الحـزم يصلـح الـرأي والقـرار ويحصّنـه.

ولكـن علـى ألا يـؤدي الحـزم والتـروي إلـى تعطيـل القـرار، فإنـه مـن الضعـف والعجـز.. وقـد قال تعالـى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2].

والعـزم لا يكـون إلاّ بالحـزم، فـإذا تـم للإنسـان كان عليـه أن يتـوكل علـى الله ويمضـي فـي عملـه، ولا يسـمح لنفسـه التـردد فـي القـرار بعـد أن اكتملـت لديـه أسـبابه.

روي عـن أميـر المؤمنيـن عليه السلام: **«إِذَا هِبْـتَ أَمْـراً فَقَـعْ فِيـهِ، فَـإِنَّ شِـدَّةَ تَوَقِّيـهِ أَعْظَـمُ مِمَّـا تَخَـافُ مِنْـهُ»**[3].

٢١- دور الزمان في الإدارة الصالحة

الإدارة الصالحـة تأخـذ الـزمان بنظـر الاعتبـار.. والـزمان ليـس وعاءً للتاريـخ والأحـداث والأعـمال فقـط، وإنـما هـو مـن مقـومات التاريـخ والأعـمال والأحـداث أيضـاً.. فلَـرُب مشـروع يفشـل فـي زمان فشـلاً ذريعـاً، ونفـس المشـروع بنفـس المواصفـات ينجـح فـي زمان آخـر، والفـارق الـزمان.

---

١. المصدر نفسه، حكمة: ١٠٠٥٨، ص٤٤١.

٢. آل عمران: ١٥٩.

٣. نهـج البلاغـة، الحكمـة: ١٦٦، بـاب المختـار مـن حكـم أميـر المؤمنيـن عليه السلام ومواعظـه، ص٤٣٩.

ولذلك نعتقد أن تشخيص الزمان من العناصر والشروط المقومة للإدارة الصالحة.

والزمان ثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.. ولكل منها دور في الإدارة الصالحة.

إن الماضي لا يجوز إلغاؤه بأي نحو في أي مشروع ثقافي، أو سياسي، أو حركي، أو تجاري، أو عمراني، أو جهادي أو غير ذلك.

فقد يحمل الماضي من عوامل الإخفاق ما يؤدي إلى إحباط المشروع في الحال الحاضر، في نفوس الناس.. وقد يحمل الماضي من الأخطاء ما يجب على الإدارة الصالحة تصحيحها قبل البدء بالعمل في الحال الحاضر.

إن الحوادث المختلفة المسرّة والمؤسفة والأخطاء والإخفاقات والنجاحات التي تمت في الماضي تلقي بظلالها على الحاضر لا محالة.

وعليه؛ يجب أن نأخذ الماضي والتاريخ بنظر الاعتبار في أي مشروع حاضر أو مستقبلي.

أما معرفة الحاضر (الحال)، فله دور أساسي في نجاح العمل وفشله.. والقيادة الصالحة الناجحة هي التي تضع المشاريع في الظرف المناسب، والوعاء الزمني المكافئ للعمل.. فلَرُب مشروع يخفق في زمان، وينجح في زمان، بنفس المقومات، وليس الفارق المشروع، فهو واحد، وإنما الفارق الزمان.. فإن الزمان قد يكون من عوامل الإخفاق، وقد يكون من عوامل النجاح.. والمدير الناجح هو الذي يشخّص الظرف الصالح لأداء العمل.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الْعَالِمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ**»[1].

والمعرفة الدقيقة للزمان، وتشخيص الظرف الصالح للعمل، نحو من البصيرة الإدارية، والبصر بالأحداث.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ حَافِظاً لِلِسَانِهِ**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حَسْبُ الْمَرْءِ.. مِنْ عِرْفَانِهِ، عَمَلُهُ بِزَمَانِهِ**»[3].

وأما المستقبل، فهو امتداد للحاضر.. وإذا كان وعاء الحاضر صالحاً لإدارة المشروع، فقد يحمل وعاء المستقبل من عوامل الإخفاق ما يغيب عن صاحبه.. وقد يقبل الناس على مشروع ثقافي أو سياسي أو إنساني، أو اقتصادي، ثم يصيب الناس في المستقبل إرهاق وتعب، ويؤدي ذلك إلى إحباط المشروع، وعامل الإحباط يكمن في المستقبل، وليس في الحاضر ولا في الماضي، والإدارة الناجحة يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق في المستقبل من الآن.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**مَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الِاسْتِعْدَادِ**»[4].

إن الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق التي يتضمنها المستقبل يجب

١. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، كتاب العقل والجهل، ج١، ص٦١، ح٢٩.
٢. الصدوق، الخصال، ج٢، ص٥٢٣.
٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص١٥٥٢، ح٧٦٢٥.
٤. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، كتاب الروضة (من خطبة الوسيلة)، ج١٥، ص٧٢، ح٤.

أن يكـون مـن الآن.

وللزمان دور واضح في تغيير المناهج والأساليب.

صحيـح أن الشـريعة مجموعـة مـن الثوابـت التـي لا تتبـدل ولا تتغيـر فـي الظـروف الزمانيـة المختلفـة.. ولكـن ذلـك فـي ثوابـت الشـريعة وحـدود الله، وفرائـض الديـن، أما الأسـاليب والوسـائل والمناهـج التـي لا تدخـل فـي ضمـن الثوابـت والحـدود الشـرعية، فهـي قابلـة للاختـلاف والتغييـر؛ تبعـاً للظـروف والـزمان.

وهـذه نقطـة دقيقـة، ومـن الخطـأ أن نسـحب نظـام التغييـر والاختـلاف علـى ثوابـت الشـريعة، ومـن غيـر الصحيـح أن نثبـت فـي جملـة مـن الوسـائل والمناهـج؛ كالمناهـج والوسـائل التربويـة مثـلا.

وقـد روي فـي هـذا المعنـى عـن أميـر المؤمنيـن علـي بـن ابـي طالـب عليه السلام: «**لا تقسـروا أولادكـم علـى آدابكـم، فإنهـم مخلوقـون لـزمان غير زمانكـم**»[1].

إن للـزمان دوراً لا محالـة، فـي اختـلاف أسـاليب التربيـة والتعليـم، ومناهجهـما.

إن عناصـر التربيـة والتعليـم تبقـى هـي هـي فـي كل العصـور مـن الثوابـت التـي لا تتغيـر، ولكـن الأسـاليب تختلـف.. ومـن الخطـأ أن نقسـر أبناءنـا وبناتنـا علـى نفـس الأسـاليب التـي كان يتعامـل بهـا معنـا أباؤنـا وأمهاتنـا.

عـن أميـر المؤمنيـن علـي عليه السلام: «**مَـنْ أَمِـنَ الزَّمَـانَ خَانَـهُ، وَمَـنْ تَعَظَّـمَ عَلَيْـهِ أَهَانَـهُ، وَمَـنْ تَرَغَّـمَ عَلَيْـهِ أَرْغَمَـهُ، وَمَـنْ لَجَـأَ إِلَيْـهِ أَسْـلَمَهُ، وَلَيْـسَ كُلُّ**

١. ابن أبي الحديد، شرح نهج اللاغة، ج٢٠، ص٢٦٧.

مَـنْ رَمَـى أَصَـابَ، وَإِذَا تَغَيَّـرَ السُّـلْطَانُ تَغَيَّـرَ الزَّمَـانُ»[1].

وحـرّي بنـا أن نطيـل الوقـوف عنـد هـذه الكلمـة العلويـة القيّمـة، التـي تحمـل معـانٍ ومعـارف جمّـة؛ لـولا أن الوقـت والفرصـة لا تسـعنا.

فـي هـذه الكلمـة نتوقـف عنـد مجموعـة مـن النقـاط يشـير إليهـا الإمام علـي عليه السلام:

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ:

يخطـئ الإنسـان خطـأ فادحـاً إذا تصـور أن الـزمان هـو الـزمان؛ لا فـرق، فيُقْـدِمُ علـى عمـل، نجـح فيـه غيـره، فيقتحمـه مـن غيـر احتسـاب عامـل الـزمان، فيخونـه الـزمان، ويفشـل.

يقول علي عليه السلام في هذا المعنى: «**مَنْ وَثِقَ بِالزَّمَانِ صُرِع**»[2].

كمـن يجـد غيـره يمشـي علـى ماء ضحـل ويعبـره، فـإذا وجـد ماءً تصـور أن الـماء هـو الـماء، فيقتحمـه فيخونـه الـماء، فيقـع فـي وحـل وغـرق؛ كذلـك الـزمان.

إن الـزمان يختلـف عـن الـزمان، والـزمان ذو غِيَـر، ومـن أمـن غِيَـر الـزمان خانـه، فيسـقط ويفشـل، ولابـد قبـل أي عمـل مـن دراسـة حـال الـزمان الـذي يقـدم فيـه الإنسـان علـى العمـل.

ثم يقول عليه السلام: وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ:

ليـس لأحـد أن يحتقـر الـزمان، ويتعظـم عليـه، ويجـازف، ويقـدم، مـن غيـر

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢١٥.

٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٥٣.

احتساب دور الزمان في العمل، والذي يجازف، ويقدم، مستهيناً بالزمان، يهينه الزمان، ويحتقره، ويتجاوزه.. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: «**مَنْ كَابَرَ الزَّمَانَ عَطِب**»[1].

ثم يقول عليه السلام: وَمَنْ تَرَغَّمَ عَلَيْهِ أَرْغَمَهُ:

وكما ليس للإنسان أن يتعظم على الزمان ويحتقره، ويتجاوزه، كذلك ليس له أن يرغم الزمان على ما لا يستجيب له.. فإن الزمان يحكم الإنسان، ولا يحكم الإنسانُ الزمان، ومن حاول أن ينفلت من قبضة الزمان، بإرغام الزمان على ما لا يستجيب له، أرغمه الزمان.. إن حتمية الزمان من الحتميات القاهرة في التاريخ.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من عاند الزمان أرغمه**»[2].

نعم؛ من الممكن أن يعالج الإنسان الزمان، فيجعل من الزمان الشؤم زماناً مباركاً، ومن الزمان الصعب زماناً سهلاً، ومن عصر الدكتاتورية والاستبداد السياسي عصراً للثورة على الظالمين، ولكنْ هذا علاج وتوجيه وتعديل للزمان، وليس إرغاماً ولا احتقاراً للزمان.. والعلاج والتعديل غير المكابرة.

ولكل من مكابرة الزمان والتحكم به وعلاجه، أحكام وظروف خاصة ليس موضعه الآن.

ثم يقول عليه السلام: وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَسْلَمَهُ:

---

١. حسن بن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٨٢.

٢. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ٢٢٠٩، ص١٢٩.

ليس معنى ما تقدم من النهي عن ائتمان الزمان ومكابرته ومراغمته، أن يلقي الإنسان نفسه في أحضان الزمان ويستسلم له، ويأخذ بمقتضيات الزمان مهما كان؛ خيراً أو شراً؛ ضعفاً أو قوة، فإن هذا السلوك المتلون مع الزمان هو الحالة الانتهازية التي ينهى عنها الإسلام.

إن علينا أن نفهم الزمان ونعالجه ولا نأتمنه ولا نكابره ولا نراغمه، وعلينا أيضاً أن نحذر من ركوب الزمان، وأن نتطبّع بمتطلبات الزمان، فإن من توحي إليه نفسه أن يركب موجة الزمان، ويعمل بمقتضاه؛ مدحاً أو ذماً، إيماناً أو كفراً، هزيمة أو مقاومة، حباً أو بغضاً، طاعة أو تمرداً .. أقول: إن من يستسلم لحكم الزمان، ويركب الموجة، يسلمه الزمان إلى الموجة، ويتحول الإنسان عندئذٍ من عامل مؤثر في التاريخ إلى خشبة عائمة على موجة الزمان.. وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام: «**من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم**»[1].

وبين معاندة الزمان ومراغمته، وبين الاستسلام المذل للزمان، يجب أن يقف المؤمن موقفاً وسطاً في التاريخ والمجتمع، وهو موقف دقيق، لا يسعنا الوقت لشرحه أكثر من هذا الحد.

ثم يقول عليه السلام: وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ:

فقد يرمي أحد ويصيب، وقد يرمي آخر فيخطئ، وليس الفرق في الرمي والاستهداف، وإنما الفرق في الزمان، فقد يرمي أحد في زمان، فتصيب الرمية، ويرمي آخر في زمان آخر، فلا تصيب الرمية.

إن إهمال عامل الزمان من أكبر أخطاء الناس، ومن لا تصيب رميته، لا يعاتب الزمان، ولا يعاتب حظه، فليست القضية في الحظ ولا في الزمان،

---

١. المصدر نفسه.

وإنما عليه أن يراجع حساباته في تشخيص الزمان، حتى يعرف متى يرمي، ومتى يكف عن الرمي؟ ومتى يتحرك، ومتى يكف عن الحركة؟ ومتى يقوم، ومتى يقعد؟ ومتى يهتف، ومتى يهمس؟ ومتى يقاتل، ومتى يسالم؟ ومتى ومتى؟؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً تندرج في تشخيص الزمان ومعرفته. فإذا رمى في غير وقت الرمي، فلم تصب رميته، فلا يعاتب الزمان، وإنما يعاتب نفسه، لأنه لم يعرف الزمان، فإن الزمان لا يتقبل عتابا من يعاتبه.

يقول علي عليه السلام: «**الزمان يخون [من] صاحبه، ولا يستعتب لمن عاتبه**»[1].. اعرف زمانك جيداً، ثم اعمل بما تمليه هذه المعرفة من العلاج والتخطي؛ حتى لا تحتاج إلى عتاب الزمان، فيرفض الزمان منك العتاب.

ثم يقول عليه السلام: إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ:

إن بين الزمان والسلطان علاقة جدلية حميمة، يغير الزمانُ السلطان، ويغير السلطانُ الزمان، فكم من زمان صالح أفسده السلطان! وكم من سلطان صالح أضعفه الزمان! وقد كان صاحب هذه الكلمة صلوات الله عليه حاكماً صالحاً وإماماً معصوماً، قمة في العدل والعقل والتدبير والحزم والعزم والقيادة الحكيمة، ولكن زمانه جعله في مواجهة ابن أبي سفيان.. يقول عليه السلام لمعاوية: «**فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي**»[2]، ولو كان يأتي في زمن غير ذلك

١. المصدر نفسه، حكمة: ٢٣٩٤، ص١٣٧.

٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٩، من كتاب له عليه السلام إلى معاوية، ص٣١٤.

الـزمان، لتغيـر وجـه المجتمـع الإسـلامي ووجـه التاريـخ الإسـلامي، ولـكان للتاريـخ الاسـلامي وللحضـارة الإسـلامية فـي الماضـي والحاضـر والمسـتقبل شـأن غيـر هـذا الشـأن، ولكنـه عليه السلام تولـى الحكـم بعـد أن عمـل مـن كان قبلـه مـن الحـكام علـى تأسـيس حكومـة بنـي أميـة فـي الشـام، وتوطيـد أركانهـا منـذ خلافـة الخليفـة الثانـي الـذي ولّـى معاويـة، ومـن قبلـه أخـاه يزيـد بـن أبـي سـفيان علـى إقليـم الشـام كلـه، فأحكـم بنـو أميـة أركان ملكهـم فـي الشـام، فلـما تولّـى الإمام علـي عليه السلام الحكـم حكمـه الـزمان، ولـم يتمكـن أن يزيـل بنـي أميـة مـن الحكـم، وتغيـر وجـه التاريـخ الإسـلامي منـذ ذلـك الحيـن علـى أيـدي بنـي أميـة، ثـم جـاء بنـو العبـاس بنفـس المنهـاج فـي الظلـم والإسـراف وانتهـاك حـرمات الله تعالـى.

فلـم يكـن فـي الإمام علـي عليه السلام وابنـه الحسـن ضعـف أو عجـز أو قصـور، وإنـما حكمَهـم الـزمان الـذي يقهـر النـاس، ولا يُقهـر، وإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

٢٢- مبدأ توزيع المسؤوليات

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض رسائله إلى عماله[١]:

«وَاجْعَـلْ لِـكُلِّ إِنْسَـانٍ مِـنْ خَدَمِـكَ عَمَـلًا تَأْخُـذُهُ بِـهِ، فَإِنَّـهُ أَحْـرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُـوا فِـي خِدْمَتِـكَ»[٢].

١. الـوارد فـي المصـادر أنهـا مـن وصيـة لـه عليه السلام للحسـن بـن علـي عليهـما السـلام كتبهـا إليه بحاضريـن منصـرفا مـن صفيـن، وليسـت رسـالة إلـى عمالـه كـما جـاء فـي المتـن. لاحـظ الهامـش التالـي. (مـن المحقـق)

٢. المصـدر نفسـه، الكتـاب: ٣١، مـن وصيـة لـه عليه السلام للحسـن بـن علـي عليهـما السـلام كتبهـا إليـه بحاضريـن منصـرفا مـن صفيـن، ص٣٤٨.

هـذه الكلمـة تشـير إلـى مبـدأ توزيـع المسـؤوليات بيـن المسـؤولين، وهـو مبـدأ هـام فـي الإدارة، يمكّـن المسـؤول مـن محاسـبة كل واحـد منهـم علـى ما يقـع تحـت يـده مـن المسـؤوليات، ويمنعهـم مـن التـواكل.

بخـلاف التداخـل فـي المسـؤوليات، فإنـه يفسـح المجـال للمسـؤولين فـي التـواكل فيـما بينهـم، واعتـماد كل منهـم علـى غيـره، ويقلـل مـن فـرص المسـاءلة والمحاسـبة مـن ناحيـة المسـؤول الـذي يتولـى أمورهـم.

٢٣- معايير الاختيار الصحيح

اختيـار الشـخص الصالـح للموقـع المناسـب مـن أهـم المسـائل الإداريـة .. فقـد يختـار المسـؤول إنسـاناً صالحـاً كفـوءاً لموقـع مـن المواقـع، فيكون سـبباً لإنجـاح ذلـك الموقـع وذلـك العمـل، وقـد يقـع اختيـاره علـى عنصـر غيـر صالح لموقـع مـن المواقـع، فيـؤدي إلـى إفشـال الموقـع، وإفشـال المشـروع الـذي اختـاره لـه، وأهـم العناصـر والمعاييـر التـي تدخـل فـي الاختيـار الصحيـح هـي المعرفـة والأمانـة والكفـاءة.

ولقـد أشـارت ابنـة شـعيب عليه السلام علـى أبيهـا عنـدما سـقى لهـما موسـى عليه السلام، أن يسـتأجره، وقالـت فـي ذلـك: «**إِنَّ خَيْـرَ مَـنِ اسْـتَأْجَرْتَ الْقَـوِيُّ الْأَمِيـنُ**»[1]، فوصفـت موسـى بـن عمـران عليه السلام بالأمانـة والقـوة، وهـما عنصـران أساسـيان فـي الاختيـار الصالـح.

وعنـدما رشّـح يوسـف عليه السلام نفسـه لأمانـة خزائـن مصـر، ذكـر لتوجيـه هـذا الترشـيح كلمتيـن: «**قَـالَ اجْعَلْنِـي عَلَـى خَزَآئِـنِ الْأَرْضِ إِنِّـي حَفِيـظٌ عَلِيـمٌ**»[2]، وهاتـان الكلمتـان هـما: (الحفـظ) و(العلـم).

١. القصص: ٢٦.

٢. يوسف: ٥٥.

و(الحفظ) بمعنى الأمانة، و(العلم) بمعنى المعرفة.

فهذه ثلاث نقاط في معايير الاختيار الأصلح: المعرفة، والأمانة، والقوة (الكفاءة).

ولأمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر رضوان الله عليه كلمة جامعة في التعريف بالكفاءة والقوة.

يقول عليه السلام: «**وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ؛ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا**»[1].

وهو كلام دقيق في التعريف بكفاءة المسؤول وقوته، لا تغلبه الأمور الصعبة الكبيرة التي تواجه المسؤولين، ويبقى هو الأقوى في أي مواجهة ومقابلة للمشاكل والتحديات التي تواجهه.

وفي كلمة أخرى له عليه السلام في التعريف بالمتقين: «**فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ**»[2].

وهذه الخصلة من خصائص المدير القوي الكفوء الذي لا يتميز أمام التحديات الصعبة.

والخصلة الأخرى في تحديد الكفاءة القوة في المسؤولين «**وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا**»، فكما لا يغلبه كبيرها لا يشتّته كثيرها.. إن المسؤول الذي تتشتت عليه الأمور، لا يتمكن أن يجمعها ويهيمن عليها ويديرها وينظمها.. إن الإدارة القوية هي التي تقوم بتجميع شتات الأمور وتنظيمها وترتيبها بحسب الأولويات والاستحقاقات.

---

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٧٦.

٢. المصدر نفسه، الخطبة: ٨٤، من خطبة له عليه السلام تمسى بـ (خطبة المتقين)، ص٢٢٧.

وهذه الخصال أيضاً من خصال القوة؛ كما الخصلة المتقدمة.

ونقرأ في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر رضوان الله عليه، عندما ولاه مصر، معايير أخرى في اختيار الصالح نذكرها بإيجاز:

١. التجربة والخبرة في العمل الذي يعهد إليه. يقول عليه السلام: «**وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ**»[١].

٢. الاختيار من البيوتات الصالحة؛ قوله عليه السلام: «**مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ**»[٢].

٣. القَدَم في الإسلام؛ قوله عليه السلام: «**وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ**»[٣].

ويعلل الإمام ذلك بقوله: «**فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً**»[٤]. إن تاريخ الإنسان جزء لا يتجزأ من كيانه، فإذا كان تاريخه مشرقاً نظيفاً معروفاً بالصلاح، أمكن الاعتماد عليه والوثوق به.

٤. النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين. يقول الإمام عليه السلام في نفس الكتاب في معايير اختيار الصالح: «**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ**»[٥].

هؤلاء ينصحون لله ورسوله وأئمة المسلمين فيما يعملون وما

١. المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٧٤.
٢. المصدر نفسه.
٣. المصدر نفسه.
٤. المصدر نفسه.
٥. المصدر نفسه، ص٣٧٢.

يقولون، أما أولئك الذين يبتغون من المواقع زهو الحياة الدنيا ومتاعها، فلا يصلحون لهذه المواقع ولا ينصحون.

٥. القيم وفضائل الأخلاق، وهي بلا شك من عناصر الاختيار الصالح.. أما الذين يفقدون فضائل الأخلاق، ويتعاملون مع الناس بفظاظة، ومع مواقع المسؤولية من منطلق المصالح الشخصية، والبطر والرئاء، فلا يصلحون لتحمل أي مسؤولية من مسؤوليات المسلمين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نفس الكتاب: «**ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ**»[١].

٦. الامتحان ولابد أن يسبق الاختيار الامتحان. فلا يختار المسؤولون شخصاً لمهمة قبل أن يعرفوا كفاءته لإدارة ذلك العمل بالامتحان.

يقول علي عليه السلام في نفس الكتاب: «**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً**»[٢].

وهو الأسلوب الصحيح لاختيار الأصلح.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ**»[٣].

---

١. المصدر نفسه، ص٣٧٦.

٢. المصدر نفسه، ص٣٧٤.

٣. المصدر نفسه، الحكمة: ٣٧٦، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص٤٨٦.

٢٤- الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية

المشاريع الكبيرة لا ينهض بها إلاّ أصحاب الهمم العالية، وليس معنى الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية الجنوح إلى المثاليات في العمل.. ولا تنافي الاهتمامات الكبيرة أن يكون أصحابها واقعيين في مشاريعهم.. وإنما الفارق بين الاعمال المحدودة والمشاريع الكبيرة همم أصحابها..

فالذين آتاهم الله الهمم العالية ينهضون بالأعمال العظيمة في العمر المحدود الذي يعيشه الآخرون، وبالإمكانات المحدودة التي يملكها الآخرون.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**خير الهمم أعلاها**»[١].

وقيمة الإنسان بمقدار همته وطموحه. عن علي عليه السلام: «**قدر الرجل على قدر همته**»[٢].

والهمم تُكلّف أصحابها لا محالة ضروباً من الجهد والتعب والصبر، يتحملها أصحابها في مسيرة حياتهم، وهذه الهموم هي ضريبة الهمم.

عن علي عليه السلام: «**على قدر الهمم تكون الهموم**»[٣].

٢٥- بين المسؤولية والرعاية

يكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أحد عماله الذين تجاوز حدود صلاحياته في عمله:

١. عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، حكمة: ١٠٢٧٥، ص٤٤٨.

٢. نهج البلاغة، الحكمة: ٤٤، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه، ص٤١٤.

٣. عبد الواحد الآمدي، مصدر سابق، حكمة: ١٠٢٨٤، ص٤٤٨.

«أَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ»[1].

إن خطّ المسؤولية مسلسل من حلقات المسؤولية والرعاية، يربط المسؤول والحاكم في الخط الصاعد بمن يتولى أمره، ويكون هو مسترعَى له، وفي الخط النازل يكون مسؤولا عمن يتولى هو أمره يحاسبه ويسائله.

فهو راعٍ لمن دونه ومسترعَى لمن فوقه، مسؤول عن المواقع (النازلة) التي تقع في حوزة مسؤوليته، وفي نفس الوقت هو مسؤول ومحاسب من قبل من يكون فوقه.. وعليه أن يتقبل السؤال والمحاسبة من قبل المواقع الفوقية التي تقع أعلى منه في مسلسل الرعاية والمسؤولية.. كما عليه محاسبة من يقع دونه من مواقع المسؤولية.

ولا يصح له أن يحاسب ويسائل مَن دونه، ثم لا يقبل المساءلة والمحاسبة ممن فوقه.

والمسؤولية كلها سؤال وحساب، يسائِل من دونه في مسلسل المسؤولية، ويتقبل سؤال من فوقه في هذا المسلسل.

وهذا هو التصور الإسلامي الصحيح لمواقع المسؤولية.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة بالسؤال والجواب والرعاية والاسترعاء من الطرفين.. ويجري هذا على كل مواقع المسؤولية حتى آخر هذه المواقع وأرفعها؛ وهو ولاية الأمر العامة، فإن موقع الولاية العامة مسترعَى من جانب الله تعالى، وولّي الأمر يخضع للسؤال والجواب من جانب الله، كما

١. نهج البلاغة، الكتاب: ٥، من كتاب له عليه السلام إلى أشعث بن قيس، ص٣١٢.

يطالب من دونه من المواقع بالجواب والحساب.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة من الطرفين بالمسؤولية والرعاية على كل المستويات.. وإذا عرف المسؤولون في النظام الإداري في الإسلام هذه الشبكة المترابطة من المسؤولية والرعاية، في كل المواقع، من دون استثناء، وارتباط هذه الشبكة العظيمة في آخر حلقاته بالله تعالى، إذا عرف أصحاب المواقع هذا الترابط العظيم بين مواقع المسؤولية على هذه الشبكة، وارتباطها جميعاً بالله، انتظم أمر المسؤولية في المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر رضوان الله عليه: «**فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ**»[1].

١. المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣، من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها، ص٣٦٧.

الإسلام دين قيادة وحكم وسيادة، فلا يمكن أن تتم هذه العناصر على الأرض ما لم يعط اهتماماً بمقومات ومفردات الإدارة والقيادة.

ومما لا شك فيه أنّ القيادة وحدها بدون عناصر الإدارة والتنظيم تؤدي إلى سقوط القيادة، وتشتت الجماعة.

وإننا إذا قلنا إنّ الحاكمية على الأرض ملازمة للإسلام، وإنّ التنازل عن عنصر الحاكمية والقيادية يعني التنازل عن الرسالة نفسها، فإنّ هذا يقودنا إلى ضرورة وجود الثقافة الإدارية والتنظيمية التي في هذا الدين.